الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية

نظام الري و الزراعة الكولونيالي في منطقة الصحراء الجزائرية 1870 – 1962 (وادي ريغ انمودجا)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبين : – رياض فقيه

– سعدان سخري

إشراف : د/ معاذ عمراني

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	المؤسسة الأصلية
د . محمد الحاكم بن عون	رئيسا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
د . معاذ عمراني	مشرفا و مقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
ذ . عبد القادر عزام عوادي	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمة لحضر الوادي

السنة الجامعية 1443/1442 هـ - 2022/2021 م

بسم الله الرحمان الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى

" و النخل باسقات لها طلع نضيد "

صدق الله العظيم

(الآية 10 ، سورة ق)

شكر و تقدير

أن الحمد لله نذكره و نشكره على عظيم الفضائل التي خصنا بها و النعمة المجزاة التي وهبنا ألا و هي نعمة العقل و الدين و صل اللهم و سلم على النبي المصطفى العدنان عليه و على اله أزكى الصلاة و أقوم التسليم .

ها نحن في محطتنا الأخيرة في حياة أكاديمية علمية عشناها و عايشناها في كنف العلم و المعرفة بين أساندتنا الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بكل النصح و التوجيه العلمي و المعرفي فألف تحية لهم على ما بدلوه من جهد و أن يجعل الله ذلك في موازين حسناتهم يوم القيامة . و إذ يوفقنا المولى للإتمام هذا العمل على النقص الذي فيه الا أننا نعتبره ثمرة ليس لجهودنا بل لجهود كل من ساهم فيه من قريب او بعيد .

لذا و نجن نقدم هذا العمل المتواضع نتقدم بأسمى معاني التقدير و الاحترام لمن يحملون الرسالة بين جوانحهم و يعضون عليها بالنواجد و يقدمون اليوم تلو الآخر التضحيات في سبيل رفعة شأن العلم و العلماء إلى جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية و إلى كل الأساتذة الأفاضل في جامعة حمة لخضر بالوادي .

كما لا يفوتنا التوجه بالشكر الى كل الذين ساهموا في هذا العمل انطلاقا من الدكتور معاذ عمراني إلى نائب مدير متحف المجاهد بتقرت السيد نبيل رمضان، ناهيك عن من قابلناهم و منحونا و لو بصيص أمل السيد الهادي بن عودة إطار بقطاع الفلاحة بورقلة سابقا و مدير مزرعة وغلانة بله باسي حسين سابقا، زيادة على مهندس بـ I.N.R.A بتقرت السيد حفوظة لمين، و كذا السيد سالم ضميدة و الدكتور محمد السعيد بوبكر جامعة غرداية البروفيسور رضوان شافو و البروفيسور يمينه حضري بن صغير نسأل الله لكم السداد و العون و التوفيق في مهامكم الأكاديمية .

في الأخير نشكر كل الذي أسدى إلينا النصح و ساندنا و شد على أيدينا و رفع من معنوياتنا كل الشكر و جازاكم عنا كل الجزاء .

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أمي و أبي رحمهما الله و اسكنهما فسيح جنانه في الفردوس الأعلى مع النبيين و الصديقين و الشهداء و حسن أولائك رفيقا .

إلى أسرتي الصغيرة الزوجة الفاضلة و أبنائي عبد الحميد ، فاطمة الزهراء و نور الرحمان

الذين ما تقفوا أبدا على تشجيعي و دعمي في مراحل اليأس من القدرة على إتمام هذا العمل .

إلى أخوتي و أخواتي كل باسمه الى الأصدقاء الأعزاء و على رأسهم الصديق الدكتور محمد السعيد بوبكر المدعو فوزي تقرت

أهدي هذا العمل المتواضع و أسأل العلي القدير أن يعينني على إتمامه في المستقبل

رياض فقيه

الإهداء

كل شجرة لها مطر يسقيها ، و كل فقير له رب يغنيه ، و كل طفل له أم تحميه

إليك أمي الغالية

يا من سهرت لأنام و شقيت لأسعد و تعبت لأرتاح

الى الذي وهبني من الحياة سحرها و من الورود عطرها

إليك أبي الغالي

أهدي عملي هذا إلى روح جدي (لمين خوجة) و روح جدتي (باية)

رحمهما الله و اسكنهما فسيح جناته . إلى إخوتي البنات دنيا ، حنان ، ابتسام

إلى الزوجة الكريمة و إلى أولادي الأعزاء . لمين خوجة ، ملاك باية ، زياد و قصي .

إلى جميع الزملاء و الأصدقاء كل باسمه اخص بالذكر المرحوم عبد الحميد بوعزيز

إلى الجزائر الحبيبة و إلى الشهداء الأبرار .

سعدان سخري

ملخص الدراسة بالعربية

تعتبر منطقة وادي ريع مند فترات طويلة مجالا حيويا و استراتيجيا ، ليس لكونه كان و لا يزال طريقا حيويا تجاريا و حضاريا . بل للإمكانات الاقتصادية التي تزخر بها المنطقة و على رأسها زراعة النخيل التي تشكل عماد الثروات في الإقليم لكن ارتباطا بثروة لا تقل أهمية ألا وهي ثروة الماء . و قد عبرت على ذلك غالبية الدراسات خاصة تلك التي سبقت الاحتلال الفرنسي للمنطقة مما جعل الأخيرة تتحول إلى منطقة استقطاب استثماري واضح خاصة في ظل الدعم و التشجيع الذي تمارسه حكومة الميتروبول بفرنسا . لكن اكبر نجاح حققه الاستعمار لصالحه هو فرض منطقه و طموحاته حول استغلال المنطقة على حساب سكانها و بسواعدهم في غالب الأحيان ناهيك عن توجيه نمط الإنتاج بما يتلاءم و التصورات التجارية و البراغماتية للمستثمرين و ما يخدم الاستعمار ، فالكولون عملوا بلا هوادة و بأقل التكاليف على فرض منطقهم الزراعي من خلال تحويل زراعة النخيل إلى زراعة تجارية و علامة مسجلة لصالحهم من خلال منتوج دقلة نور الذي داع صيته في أرجاء العالم ، لكن بالمقابل احدث الاستثمار المتوحش للفرنسيين بالمنطقة انهيارا واضحا للزراعة الأهلية و كذا استغلالا بشعا للمياه مما أدى إلى أثار وخيمة لا نزال نتجرعها إلى يومنا هذا .

ملخص الدراسة بالفرنسية

Pendant longtemps, la région de l' oued Rir . a été considérée comme une zone vitale et stratégique, non pas parce qu'elle était et est toujours une route commerciale et civilisatrice vitale. Elle est plutôt due au potentiel économique dont regorge la région, auquel s'ajoute la culture de la palmer Dattier, qui est le pilier de la richesse de la région, mais en lien avec une richesse non moins importante, qui est la richesse de l'eau. . La plupart des études l'ont exprimé, notamment celles qui ont précédé l'occupation française de la région Ce qui a fait de cette dernière une zone d'attraction évidente pour les investissements, notamment à la lumière du soutien et des encouragements exercés par le gouvernement Métropole en France. Mais le plus grand succès obtenu par le colonialisme en sa faveur est l'imposition de sa logique et de ses ambitions autour de l'exploitation de la région aux dépens de ses habitants et le plus souvent de leurs mains. En plus d'orienter le modèle de production en fonction des perceptions commerciales et pragmatiques des investisseurs et au service du colonialisme, les colons ont travaillé sans relâche et au moindre coût pour imposer leur logique agricole en transformant la culture de la palmer Dattier en culture commerciale et une marque déposée pour eux à travers le Produit Deglet Nour, qui a fait sa réputation tout au long du Monde. Mais d'autre part, l'investissement brutal des Français dans la région a provoqué un net effondrement de l'agriculture indigne , ainsi qu'une exploitation effroyable de l'eau, qui a entraîné des effets désastreux que nous subissons encore à ce jour.

قائمة المختصرات

الاختصار بالعربية			الاختصار الفرنسية
تر	ترجمة	Edition	Ed
مج	مجلد	Direction des Territoires du sud	D.T.S
د.ط	دون طبعة	Gouvernement générale d'Algérie	G.G.A
تح	تحقيق	مركز الأبحاث و التجارب للزراعة الصحراوية	I.N.R.A

المقدمة

تشتهر منطقة وادي ريغ بزراعة العديد من المنتجات و على رأسها أشجار النخيل و أجود أنواعها دقلة نور و هذا راجع إلى مناخها الملائم و نظام الري المناسب لهذه الزراعة فهي تمثل المنتج الأساسي لسكان المنطقة و مصدر ثروتهم مما جعل لها تأثيرا كبيرا في حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية .

بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة و الاستيلاء عليها ، انتهجت الإدارة الاستعمارية سياسة تعسفية إزاء الشعب ، و وضعت خطة إستراتيجية قوامها تنظيم و تسيير و استغلال الثروات الصحراوية و خاصة في القطاع الزراعي خدمة لمصالحها الحيوية و تعزيزا لنفوذها الاستعماري في قلب أفريقيا و منطقة الساحل ، و قد كان لاقتناع الكولون المعمرين بهذا التوجه أن عزز اهتمام الميتروبول بمنطقة وادي ريع خاصة لما تتضمنه من مصادر حيوية هامة على رأسها المياه الجوفية زيادة على منتوج التمور، الذي أضحى علامة دولية مسجلة باسم المنطقة لكن لصالح الإدارة الاستعمارية .

و عليه جاءت دراستنا هذه لتلقي الضوء على هذا الجانب من السياسة الاستعمارية بمنطقة وادي ريغ و الموسومة بـ **نظام الري و الزراعة الكولونيالي بمنطقة الصحراء الجزائرية 1870 – 1962 م (منطقة وادي ريغ انمودجا)** و قد كان اختيارنا لهذه الفترة الزمنية باعتبار أن أولى أشغال الاستغلال الاستثماري الأوروبي زراعيا للمنطقة و بشكل رسمي تم في هذه المرحلة .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب موضوعية و ذاتية تتمثل في :

- قلة الدراسات الأكاديمية المحكمة حول المنطقة و خاصة المجال الاقتصادي .
- اغلب الدراسات و الأطروحات تناولت المجال السياسي ،العسكري ، الحضاري مع بعض الإشارات إلى المجال الاقتصادي .

- التعرف على نظم الري و الزراعة المتبعة في تلك الفترة التاريخية و أهم المنتجات المصدرة و الدور الذي لعبته في التأثير على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لسكان المنطقة .
- انتمائنا لمنطقة وادي ريغ و الذي يعتبر من أهم الأسباب التي تجعلنا نخوض هذا الموضوع خاصة

أهداف اختيار الموضوع :

- إثراء المكتبة الوطنية بمثل هكذا دراسات أكاديمية علمية .
- لفت انتباه الأكاديميين إلى هذا النوع من الدراسات و المواضيع التي لم تأخذ حقها من الدراسة .
- تعريف الأجيال القادمة بأهمية التاريخ المحلي و تحفيزهم لمواصلة البحث فيه .
- الحفاظ على الموروث التاريخي خوفا من فقدانه .

إشكالية الموضوع :

إن الاهتمام الذي أولته الإدارة الاستعمارية للمنطقة و كذا شغف الكولون بها نظير الأهمية الزراعية خاصة و الاقتصادية و الإستراتيجية عامة ، كان لهؤلاء صحبة الإدارة الاستعمارية بصمتهم ، بانتهاج خطط و بدائل للنهوض بالقطاع الزراعي الكولونيالي في المنطقة خدمة لمصالحهم و مصالح الميتروبول ، و من هنا نطرح الإشكالية التالية :

ما النظم التي اعتمدها الكولون بمعية الإدارة الاستعمارية في مجال الري و الزراعة بمنطقة وادي ريغ(1870. 1962) و ما مدى نجاعتها في تحقيق الأهداف الاستعمارية و تطوير البناء الاقتصادي للمنطقة ؟

و للإجابة على هذه الإشكالية يجب أن نجيب على التساؤلات الفرعية التالية :

كيف كان نظام الري قبيل التوغل الفرنسي للمنطقة ؟ هل أحدث الاستعمار تغييرا أو تطويرا لنظم الري القائمة أو اعتمد بدائل أخرى ؟ كيف تعامل الاستعمار مع الزراعة الصحراوية و خاصة زراعة النخيل ؟ هل رافقت الإدارة الاستعمارية الوجود الزراعي الكولونيالي ؟ و هل كان لذلك تأثير على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للمنطقة ؟

المنهج المتبع :

لمعالجة مختلف التساؤلات و تحليلها اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يجمع بين الوصف و التحليل ، من خلال وصف و عرض الأحداث و الوقائع التاريخية

فيما تعلق بالتعريف بالمنطقة ، و كذا كل المعلومات المرتبطة بنظام الري و الزراعة في تلك الفترة التاريخية ،

دراسة نقدية لأهم المصادر و المراجع :

و لانجاز بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع و الدراسات الأكاديمية منها :

المصادر :

M.G . Rolland : la colonisation Française ou Sahara d'oued Rir , et la conquête du Désert .1889

A. Berbrugger : L'irrigation dans la péninsule Ibérique et dans l'Afrique du nord .1862

E. castier : Les entrailles de la Terre .1902

و التي استفدنا من بعض الإشارات التي تناولتها كطبيعة أرض المنطقة و جيولوجيتها و أهميتها كخزان مائي عملاق كما تمكنا من خلالها إدراك حجم الاستغلال الأوروبي للمنطقة و استشفينا أهميتها الإستراتيجية كمورد و معبر داخل الصحراء لكن حاولنا تناول ما أوردته بحذر شديد نظرا لوجود عديد الوقائع و الحقائق التي حاول تزييفها و تحريفها هؤلاء الباحثين إلى جانب كثير من المصادر الأجنبية التي تضمنت دراسة للمنطقة لكنها في الغالب تصب في خانة خدمة الأهداف الاستعمارية و التبرير لها .

المراجع : التي اعتمدنا عليها و أفادتنا و لو بقدر ضئيل

أحميدة عميراوي و آخرون في كتابين أولاهما السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ... و ثانيهما تعتبر دراسة مكملة و هي أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري . كما اعتمدنا على إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، لكن تناول هذه المراجع لموضوع بحثنا جاء على شكل مقتطفات و غالبيتها يستند إلى الدراسات الأجنبية خاصة الفرنسية منها ، و هو نفس الأمر بالنسبة للمذكرات و الأطروحات

و المقالات التي وردت في المجلات الأكاديمية المحكمة ، مثل ما أوردته يمينة حاضري بن صغير في مجلة البحوث و الدراسات عن جامعة غرداية .

الصعوبات :

ككل بحث يتعلق بالمواضيع المحلية واجهتنا صعوبات كبيرة جدا منها :

- شح المصادر العربية التي تتحدث عن تاريخ المنطقة بصورة مدققة خاصة مجال دراستنا و كل ما حصلنا عليه إشارات أحيانا تخص كل الصحراء .
- المصادر الأجنبية اصدمنا بمشكل الترجمة خاصة أن اللغة و الأسلوب الذي وردت به صعب جدا كما كانت الترجمة بمجهود شخصي .
- ضيق الوقت المخصص لمثل هذه الدراسات التي تقتضي الوصول إلى أمهات الكتب و المراجع و الاستقاء من المصادر الحية
- جل المقابلات الشفوية التي أجريناها وجدنا أن أصحابها ارتبطوا بفترة زمنية بعيدة نوعا ما عن المجال الزمني للدراسة و بعض منهم لم يعد يذكر شيئا .

خطة البحث :

قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاثة فصول و خاتمة ، فالمقدمة تناولنا فيها لمحة عن الدراسة و الإشارة إلى مراحل إعدادها أما الفصل التمهيدي ففيه تناولنا ما تعلق بالتعريف بالمنطقة جغرافيا حضاريا ، إلى جانب التوغل الاستعماري مركزين على دور المستكشفين في ذلك ، و جاء الفصل الأول بعنوان نظام الري الكولونيالي في المنطقة قسمناه إلى ثلاثة مباحث أولاها نظام الري التقليدي للأهالي و الثاني حفر الآبار الارتوازية الكولونيالية و الثالث أساليب الري الاستعماري و استغلال المياه .

أما الفصل الثاني الذي عالجنا فيه الزراعة الكولونيالية واقعها و أهدافها بالمنطقة فقسمناه إلى ثلاثة مباحث ، الأول اختص بالنظام الزراعي الأهالي و الثاني حول نظام الاستغلال الكولونيالي منذ 1870 ،و ثالثهما حول طبيعة الإنتاج الزراعي و دوره الاقتصادي.

في حين خصصنا الفصل الثالث و الأخير لنتائج و انعكاسات النظام الكولونيالي على المجال السياسي العسكري و كذا الاجتماعي و البيئي للمنطقة ، و قسمناه الى ثلاثة مباحث ، أولاهما التوسع و السيطرة على الصحراء ، ثانيهما على الآثار المترتبة على السكان و المجتمع الريغي و ثالثهما حول الآثار البيئية و الجيولوجية التي ترتبت عن استغلال تلك النظم ، في حين الخاتمة ضمت النتائج المتوصل إليها خلال الدراسة و بعض التوصيات التي ننبه إليها كل مقبل على هذه الدراسات المحلية .

الفصل التمهيدي

التعريف بمنطقة وادي ريغ

1- التعريف بالمنطقة طبيعيا

2- منطقة وادي ريغ حضاريا

3- التوغل الاستعماري الفرنسي بالمنطقة

منطقة وادي ريغ طبيعيا :

يقسم الجغرافيون الصحراء الجزائرية الشمالية إلى قسمين :1 الصحراء المنخفضة

2 الصحراء المرتفعة وعموما فإن منطقة الدراسة وادي ريغ تقع في قلب الصحراء المنخفضة وهي منطقة غنية بالمياه الارتوازية الجوفية كانت مهدا لنشأة الواحات ، ويقع الإقليم في الشمال الشرقي من الصحراء ،في منخفض مستطيل الشكل طوله 160 كلم وعرضه يتراوح ما بين 30 و40 كلم يبتدئ شمالا من قرية عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية **قوق**[1] جنوب تقرت .

يحد الإقليم من الشمال منطقة الحضنة و الزيبان ، و من الشرق العرق الشرقي الكبير و من الجنوب الغربي شط ملغيغ و من الجنوب مدينة ورقلة ومن الغرب منحدر حصوي و هضبة ميزاب واهم ما يميز المنطقة من الناحية التضاريسية وهو الانبساط والاستواء حيث تتميز بانحدار خفيف من الجنوب نحو الشمال مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300 م **(2)** .

ومنطقة وادي ريغ عموما تتوسط الجنوب الشرقي حيث تبعد 618كلم عن الجزائر و161 كلم على ورقلة و171 كلم عن حاسي مسعود و95كلم من الوادي , 220 كلم عن بسكرة**(3)**

---

1 قوق : قرية و حي سكني تابع لبلدية بلدة عمر جنوب تقرت **(انظر الملحق رقم 1 ص 73)**

2- معاذ عمراني: << منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي 1854-1962م دراسة سياسية >> أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية علوم الإنسانية ، جامعة الجزائر، 2016 ، ص 20 .

3- سعاد بن سالم ، كلثوم حجاج :**<< زراعة النخيل وتأثيرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي ريغ 1900-1962>>** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة حمة لخضر الوادي 2017، ص ص 13-14

لقد عرف هذا الإقليم عبر تاريخه زيارة عدة شخصيات مختلفة و التي أشارت إلى المنطقة ، حيث سماه ابن خلدون بلاد ريغ أو ارض ريغ ، وهو الاسم الذي عرف به مند نشأته، وأصل التسمية يعود إلى قبيلة زناتة إحدى بطون مغراوة [1] حيث يقول (وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة... ونزل الكثير منهم ما بين قصور الزاب **ووركلا**[2] ا فاختطو في عدوة وإذ ينحدر من الغرب إلى الشرق ويشمل على القصر الكبير والقرية المتوسطة ... وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء ومن سنجاس وبني يفرن , وغيرهم من قبائل زناته...)**(1)** ، أما ياقوت الحموي في معجمه أطلق عليه اسم الزاب الصغير[3] حيث قال (و الزاب أيضا كورة غيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة , فمن كان منها يقال له ريغي)**(2)**

و سماها ابن سعيد ببلاد ريغ حيث قال (... وفي شرقها بلاد ريغ طولها نحو خمسة أيام وهي بلاد نخل وحمضيات تنتج على وجه الأرض فيعد الماء كسهم إلى أمد طويل و يسيح في المزارع ...) **(3)** ، في حين أن العدواني يرى تسمية وادي ريغ ، أي ريغ بالضبط نسبة إلى اسم رجل يقال له ياهوت بن شملخ بن كعب بن غادية من ولد أندلس بن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام **(4)**

---

1 مغراوة :وهي إحدى قبائل زناته سلالة أمازيغية تولت الحكم من الاوراس حتى المحيط الأطلسي

(1)–عبد الرحمان بن خلدون : **تاريخ ابن خلدون** , دار الفكر 2000,مج 7ص64

2 – وركلا : هي منطقة ورقلة حاليا كانت تسمى سابقا وركلا او ورجلان .

3–الزاب الصغير مجموعة من الأقاليم في الجزائر منها الزاب الأعلى وتظم منطقة مسيلة و بريكة و الزاب الأسفل يشمل منطقة الزيبان و الزاب الأصغر يضم المغير وضواحيها... ينظر عبد الحميد قادري **تاريخ وأمجاد جزائرية** ، ط 2 ، دار الأوطان، الجزائر، 2014، ص14 .

(2)– ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، د.ط ، دار صادر , بيروت , د ت، مج 3، ص 124.

(3)– علي بن موسى بن سعيد: **كتاب الجغرافيا**, تح, إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970، ص 126.

(4)– محمد بن عمر العدواني : **تاريخ العدواني** ، تح. أبو القاسم سعد الله ، د ط ، دار الغرب الإسلامي , بيروت ، 2005م ، ص 138.

ويوضح أيضا عبد القادر ميهوبي أن إقليم وادي ريغ ، الذي عمره السكان الأوائل هو الواد الجوفي الذي ينساب تحت الأرض(1) ، وهو مصدر المياه والينابيع التي تسقى بها الفلاحة والنخيل أما الوادي الحالي الذي يسيل في القناة التي تنحدر من قرية قوق وتصب في شط مروان التي تعرف عند العامة بالسفالة ، حديث النشأة حيث تم حفرها بعد عمارة الإقليم من جديد عند ما كثرت مياه السقي المتدفقة من الآبار الارتوازية وارتفع مستوى المياه الزائدة التي تسقي غابات النخيل المنتشرة في الإقليم ، ويتكون هذا الإقليم جيولوجيا من مجموعة من الشطوط و سبخات تقع تقريبا على خط واحد, وتمثل تركيبا منسقا لحوض كبير يتخلل هضاب طباشيرية .

و ياخد قاع هذا الحوض بالارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الجنوب على مسافة تقارب 130 كلم تبدأ من قرية انسيغة وتنتهي عند الحدود الجنوبية لمدينة تماسين وهناك من يرى انه لا يتوقف عند دلك الإطار المحلي لأنه وبعد مدينة تقرت مباشرة يتصل بمنظومة تضاريسية أخرى ولمسافة1000 كلم بأعماق الصحراء ، ليصبح ذلك الحوض مجرد جزء يسير من منحدر يبدأ من مرتفعات الاهقار و ينتهي عند أطراف الأطلسي الصحراوي وبعبارة أخرى لا يمثل وادي ريغ إلا الـ 100 كلم الأخيرة من حوض نهر ايغرغار، الذي كان يتدفق في أزمان بعيدة (2) قاطعا الصحراء من الجنوب إلى الشمال منابعه في الآهقار ومصبه في شط ملغيغ الذي يعتبر من أهم وأعمق الشطوط في القطر الجزائري ، إذ يصل عمق بعض النقاط فيه إلى 32م تحت سطح البحر ويتكون هدا الشط من ثلاثة أحواض رئيسية هي حوض ملغيغ في الشمال وحوض مروان في الجنوب الغربي بينما يحتل حوض سالم الجهة الشرقية وتبلغ المساحة القصوى لهذه الأحواض عند امتلائها بالمياه **6000 م3** بعمق متوسط يصل الى –15م تحت سطح البحر.

---

(1)–عبد القادر موهوبي السائحي: **ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة** , د.ط ، دار البصائر , الجزائر، 2011 ، ص25.

(2)–احمد خوضر: **تقرت بين الحقيقة والأسطورة والمغالطة** ، د.ط ، دارالخلدونية , الجزائر، 2019 ، ص 26.

كانت هده الأحواض ماضيا بحيرات ومصبات لمجموعة من الأنهار والأودية منها وادي الجدي ، وادي ريغ و وادي التل بالإضافة إلى الكثير من السيول والأودية الصغيرة التي كانت تنحدر من جبال الأطلسي مثل وادي بسكرة و الوادي الأبيض ووادي العرب ، وكان ذلك قبل أن يتغير حال الصحراء وتجف أوديتها وأنهارها ، أما اليوم فشط ملغيغ ليس إلا مخفضات تتجمع فيها المياه في المواسم الماطرة وتتبخر صيفا لتترك مكانها لمساحات بيضاء من الملح **(1)**.

ويضم هذا الإقليم أكثر من 35 مدينة وقرية ودشرة والتي تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ ويمكن تقسيمها إلى 3 مجموعات هي:

1-منطقة المغير وتضم (أم الطيور – انسيغة – سيدي خليل – والمغير...)

2-منطقة جامعة وتضم (الأغفيان –الزاوية – مآزر – تقديدين – سيدي عمران – تمرنة – سيدي يحي)

3-منطقة تقرت وتضم (سيدي سليمان – الهرهيرة – مقر– القصور– غمرة – المقارين – القوق) **(2)** .

1- احمد خوضير: مرجع سابق ص ص 27 28 .

2 – سالم و حجاج : << **زراعة النخيل وتأثيرها** ...>> ، المرجع السابق ، ص15 .

تضاريس المنطقة :

إن أهم ما يميز وادي ريغ من حيث التضاريس هو البساطة والرتابة إذ تتميز بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال يقدر ب1% بداية من قرية قوق جنوبا حتى نهاية منطقة الشطوط بالقرب من المغير بارتفاع عن سطح البحر مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300م ، و المنطقة منخفض حفري عريض يعود إلى الزمن الرابع ذو تكوينات ترابية جيرية تتابع خلاله سبخات [1] ملحية تفيض في فصل الشتاء ، لتكون بحيرات دائرية الشكل مصدرها صعود المياه الجوفية ،ويمتد هذا الإقليم من الجنوب إلى الشمال محصور بين سطح حتي يعود للزمن الثالث ، أما في الشرق منه فيمتد عرق رملي يتكون من تصفيفات من الكثبان هي جزء من العرق الكبير ،ويمكن تمييز 04 مستويات متقاربة للتضاريس والتربة هي :

1)المستوى المرتفع : والذي تمثله انحدارات ذات قشور جبسية أو جيرية أو أسطح هي بقايا تظهر على شكل تلال ذات تضاريس خفيفة في معظمها لا تتعدى 300م كارتفاع .

2)المستوى المتوسط : يتميز على العموم بانحدارات تعود إلى الزمن الرابع أرضها رملية جبسية لكن التضاريس غير ظاهرة ماعدا بعض المناطق التي خضعت للتعرية الريحية

3)مستوى ما قبل الشطوط : يظهر بشكل منخفض واضح ويتمثل في مساحات مستوية ذات انحدار خفيف

4)مستوى الشطوط : تتمثل في المستويات الأكثر انخفاض في الحوض وتربتها تتميز بمستوى عال من الملوحة بسبب التبخر الشديد **(2)**.

1- السبخات منخفضات ملحية واسعة تتجمع فيها مياه الفيضانات والأودية وهي تحت ارتفاعات متدينة جدا غالبا ما تكون تحت مستوى سطح البحر ينظر قبايلة مبارك :<< **تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية** >> ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، كلية العلوم الانسانية ، جامعة بسكرة ، 2009 – 2010 ، ص 13

2- بن سالم و حجاج: مرجع سابق ص16 .

مناخ المنطقة :

عموما لا يختلف المناخ بوادي ريغ عن بقية الأقاليم الصحراوية الأخرى ، حيث يتميز بالمناخ القاري الجاف ، البرودة في فصل الشتاء ، والحرارة في الصيف والحرارة السنوية المتوسطة تقارب **23°** مئوية مع تغيرات فصلية قوية تكون شديدة الانخفاض في شهر ديسمبر و جانفي من 10و12 درجة ، أما الدرجة الدنيا فتقدر بحوالي 03 درجات مئوية و تكون أشد ما عليها الحرارة في شهري جويلية و أوت من 35 إلى 44 وأقصى ارتفاع ب 49,5 ، حيث أن الحرارة الفصلية دوما تفوق 40 نهار او 30 ليلا بالإضافة إلى تعرض المنطقة لهبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان مثيرة لعواصف هوجاء من الرمال تصل سرعتها أحيانا إلى 140 م / ثا ، غالبا ما يحدث في ذلك في شهري افريل و مـــاي ، إضافة إلى نذرة الأمطار وعـدم انتظامها **(1)**.

1- بن سالم و حجاج: مرجع سابق ، ص 17

منطقة وادي ريغ حضاريا :

لقد سكنت بمنطقة وادي ريغ قبائل و أجناس مختلفة وهذا مند قرون عديدة وامتزجت هذه المجموعات البشرية مع بعضها البعض فأصبحت هناك صعوبة بالغة للتمييز بينهم، وعلى الرغم من ذلك يمكن تقسيم الأجناس البشرية إلى أربعة عناصر وهم الأمازيغ (الرواغة) و العرب و الزنوج و المولدون .

أ) الرواغة :

يعتبر الرواغة من أقدم المجموعات السكانية التي استقرت بوادى ريغ و تعود أصولهم إلى قبيلة ريغة البربرية (الامازيغية) و هي احدى بطون مغراوة التي عمرت مند قرون عديدة بهذه المنطقة ، وكانوا الجنس الغالب ، فتلك القصور والأماكن كانت عامرة بهم فسميت هده الجهة نسبة إليهم أي وادي ريع باعتبار الكثرة و هذا ما ذكره ابن خلدون "... وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد " **(1)** وما يدل على الوجود الأمازيغي وقدمه في هذه المنطقة انه إلى يومنا هذا مازالت مختلف أسماء المدن والقرى تنطق الامازيغية مثل تقرت – تماسين – تالة – تمرنة – مآزر–. غمرة وغلانة ، بل هناك مناطق في وادي ريغ لا تستعمل إلا اللهجة الامازيغية وتسمى عند سكان المنطقة بالشلحية منها منطقة بلدة عمر، وقد لاحظ المستكشف الفرنسي جورج رولاند (Rolland – George) الذي زار منطقة وادي ريغ في القرن 19 ميلادي أن الرواغة بربر، لكنهم يمتازون بسواد البشرة وتجعيد الشعر، وهذا مناقض مع الصفات الخلقية للبربر اللذين يمتازون ببياض البشرة ، إلا انه يجيبنا أن هذه الصفات ليست أصلية عند الرواغة بل اكتسبوها من خلال زواج آبائهم مند قرون بالآمات اللذين كانوا يجلبون من السودان **(2)**

1– عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق ، ص98

2– معاذ عمراني : المرجع السابق ، ص 25

ب – **العرب :**

لقد توافد العرب على المغرب الأوسط ، وكان ذلك بتشجيع من الفاطميين بمصر اللذين تمكنوا في نهاية الأمر من التوغل في هذه المنطقة وتمازجوا مع القبائل المحلية خاصة مغراوة واهم القبائل العربية التي سكنت وادي ريغ قبيلة أولاد مولاة ، أيضا الفتايت وأولاد السلمية وأولاد رحمان (العرب الغرابة) وأولاد سايح **(1)**.

ج– **الزنوج :**

هم بقايا العبيد جاءت بهم تجارة النخاسة التي جعلت من سوق تقرت نقطة عبور نحو الشمال ومنهم من وفد هاربا من أسياده ومنهم من وفد عاملا و شغالا من بلد السودان وكلهم متشردون في جميع القرى و المد اشر .**(2)**

د– **المولدون :**

وهم خليط من الدماء العربية أو الدماء البربرية بالدماء الزنجية نتيجة التزاوج بين السكان الأصليين و العرب الوافدين بالنساء الزنجيات ، ومع مرور الأيام اندمجت هذه العناصر في بوتقة واحدة وشكلوا مجتمعا واحدا في منطقة وادي ريغ لا يمكن التفريق بينهم **(3)** .

1– معاذ عمراني: المرجع السابق ، ص 26

2– عبد الحميد قادري : وادي ريغ تاريخ و أمجاد ، ج1 ، ط 1 ، دار الأوطان للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 2013 م ، ص 191.

3– بن سالم و حجاج : المرجع السابق ، ص 25.

الثقافة :

ارتبطت حياة الأفراد في منطقة وادي ريغ بالممارسات الدينية والعقائدية ، وقد اعتمد الناس في حياتهم العامة على تطبيق المعتقدات والأعراف و صاحب مختلف الاحتفالات و المناسبات الدينية خلق جو من الممارسة الثقافية منها زيارة الأضرحة ورجال الحضرة التي يعتقدون فيهم الولاية والصلاح وهي ظاهرة من الظواهر التي تتعلق بالجانب الثقافي والاجتماعي الشائعة بالإقليم ، فلكل ضريح من الأضرحة المنتشرة وقت معلوم تشد إليه الرحال لزيارتهم وإقامة الطقوس من حوله و يجتمع فيها المتصوفة والفقراء والدراويش مع المذابح والرقص والألعاب البهلوانية **(1)**.

إن ظهور الزوايا الصوفية في الإقليم جاء وفق الحالة السائدة التي كانت تعيشها الجزائر عامة ووادي ريغ خاصة ، لقد ظهرت لتقوم بخدمة الفقراء والمساكين ، فوجد إقليم وادي ريغ نفسه أمام انتهاج مبدأ التصوف ، ولعل الأضرحة والقباب التي تضمنتها كل قرية والتي تشد إليها الرحال ما هي إلا بقايا نزعة التصوف التي كانت سائدة في الإقليم ، حيث نشأت مجموعة كبيرة من القرى والمداشر بواسطة الشيوخ و الأولياء الصالحين وكان من بين هذه القرى سيدي سليمان ، سيدي راشد ، سيدي عمران ، سيدى خليل ، وغيرهم وترى في كل بلدة قبة رجل صالح دفين تنسب إليه القرية حيث نجد عامة الناس يتساهلون في إطلاق لقب الولي لكل من رأوا فيه جانب الزهد أو يحفظ شيئا من القرآن**(2)**

1- زهية شوشي :**<< مجمع القصور (دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافة لقصور مدينة تقرت) >>** مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع الديمغرافية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006- 2005 ، ص 112.

2 – سفيان بالحبيب: **<< الأولياء والصالحين وأثرهم الاجتماعي والاقتصادي في إقليم وادي ريغ إبان الحقبة الاستعمارية 1854-1962** >> مذكرة تخرج مكمله لنيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي المعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة حمة لخضر الوادي ، 2019-2020 ، ص ص .41 - 42 .

العمران :

يغلب على بنايات اقلم وادي ريغ مجموعة كبيرة من القصور التي منذ نشأتها وتحولاتها بحثت عن مصدر الماء ، و هي مكان سكاني بالدرجة الأولى لفلاحي النخيل ، والملاحظ أن المدن والقصور المرتبطة معها تتمير بأنسجة عمرانية خاصة في ظل وجود العناصر التالية المنازل المساجد ، الساحات الشوارع القلعة أو البرج – الأسواق– الدكاكين**(1)**

من أهم قصورها قصر **مستاوة**[2] بتقرت وقصر **بر النوبة**[3] جنوب شرق بلدة سيدي عمران و قصر **اسيفاو** الذي يقع شمال تمرنة الجديدة وكل هذه القصور تلاشت واضمحلت بسبب العوامل الطبيعية والبشرية وما بقى منها سوى قصر تمرنة القديمة و قصر مستاوة .

1–عبد القادر خليفة<< **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمران في مدن الصحراء الجزائرية** >> أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية تخصص انبريولوجيا اجتماعية وثقافية ، قسم العلوم الاجتماعية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2010– 2011 ، ص ص . 107 – 108.

1– **قصر مستاوة :** قصر عتيق بتقرت، واحدا من القصور الصحراوية، التي لازالت أطلاله شاهدة على تاريخ وأصالة المنطقة، وذلك بنمطه العمراني الفريد

2– **بئر النوبة :** قصر **بري نوبة** : يقع على بعد. 06. كم جنوب شرق بلدية **سيدي عمران** فوق ربوة على ضفاف وادي ريغ

التوغل الاستعماري الفرنسي في المنطقة :

وادي ريغ قبيل الاحتلال الفرنسي:

حكم بنو جلاب في منطقة وادي ريغ مدة فاقت 03 قرون وكان الحكم فيها وراثيا ، وقد تميز بالتنافس الشديد على السلطة خاصة أواخر عهدهم حيث يقول الرحالة مالتسان كان النزاع يسود أفرادها في السنوات الأخيرة من سقوطها إذ كان هناك دائما جلابيون يطالبون بالحكم ويحاولون إسقاط الجلابي الحاكم وكثيرا ما تم ذلك **(1)**

وقد كانت عادة القتل تقليد قديم عند بني جلاب وقبيل سقوط المنطقة في يد المستعمر الفرنسي توفي الشيخ علي بن جلاب سنة 1833 وكان ابنه سليمان صغيرا ، فتولى السلطة بدله ابن أخيه الشيخ عبد الرحمان بن عمر بن جلاب ،هذا الأخير لما وصل إلى السلطة والحكم كان أول عمل قام به هو تصفية خدام سابقه الشيخ علي واغلب المتعاطفين والمقربين منه ، ولما كبر سليمان بن علي بن جلاب أراد الثأر لأبيه الشيخ علي فأخذ يكيد المكائد لقتل عبد الرحمان لكنه فشل ، فراسل الحكام الفرنسيين في بسكرة عارضا عليهم التعاون معهم للإطاحة بالشيخ عبد الرحمان ، ولما علم عبد الرحمان بن جلاب بخبر اتصال سليمان بن علي بالفرنسيين في بسكرة أرسل إليهم بدوره مبلغا من المال قدره 240 ريال تونسي كما أعطى لشيخ العرب مبلغ 120 ريال تونسي أيضا وطلب منه أن يسجنوا مبعوث سلمان،فقاموا بذلك وبالتالي فشلت خطة سلمان**(2)** .

وفي شهر جانفي 1852 توفى الشيخ عبد الرحمن ، فخلفه ابنه عبد القادر الذي كان عمر، 08 سنوات ونظرا لصغر سنه نهبت خزينة الأموال في عهده ، و ظلم الناس، فراسل بعض سكان تقرت رسالة إلى سلمان بن علي في ورقلة ، لتولي السلطة في تقرت، فوافق وذلك برضى الناس ، و بعد تولى سلمان الحكم بدأ تصفية أتباع الحكم السابق، فقتل عائلة السلطان عبد الرحمان (أولاده وزوجته وأنصاره ومواليه) وهكذا نجد أن سلاطين بني جلاب قد افنوا بعضهم البعض من أجل كرسي الحكم .

---

1) **هاينريش فون مالتسان: << ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا >>** ، تر ابوالعيد دودو، ج3 ، الجزائر،1980م ، ص 77 .

2) معاذ عمراني : المرجع السابق ص53

الحملات الاستكشافية الفرنسية :

تعتبر تقرت عاصمة وادي ريغ منطقة مجهولة بالنسبة للفرنسيين، حيث كانت خاضعة للحكم الجلابي ولجأت فرنسا إلى إجراء مراسلات معهم وتبادلت معهم عدة رسائل مند احتلال الجزائر سنة 1830 ، ولكن لم تكن كافية لمعرفة المنطقة جيدا ، فلجأت إلى عدة وسائل منها البعثات الاستكشافية وإرسال القوافل التجارية، ويتضح من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين أن هؤلاء قد طافوا بمنطقة تقرت وضواحيها ودرسوا جغرافيتها ومناخها و عرفوا تاريخها وأوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية و نظام الحكم فيها.

ففي سنة 1844 قام لورا مونتقازون (Loir Montgozon) برحلة إلى منطقة تقرت وضواحيها وقدم وصفا جغرافيا بالإضافة إلى ملاحظاته عن الحركة التجارية وأهم السلع من صادرات و واردات و تجارة العبيد والعملات النقدية ... في منطقة وادي ريغ (1)

وقام المستكشفان ديشفريي (Dechaverier) وماريوس قارسين (Marius garcin) في جانفي 1847 بزيارة الصحراء لأهداف تجارية ثم كانت الزيارة العلمية للمهندس ديبوك (Dubocqu) وهو مهندس متخصص بالمناجم و أيضا (ديبو سكات)(Dubosquet) رئيس مكتب الشؤون العربية ، حيث استقبله سلطان تقرت بحفاوة كبيرة ، اما الرحالة الفرنسي ادريان بيربروجو (A. Berbrugger) ، فقد قام برحلة إلى الواحات الجزائرية سنة 1850 لاستكشاف واسع يهم معرفة الحدود الجنوبية الجزائرية.(2)

1- معاذ عمراني : المرجع نفسه ، ص 55 .

2- المرجع نفسه ، ص 55 .

وبالرغم من المعلومات التي جمعتها القوات الفرنسية من الرحالة و القوافل التجارية ، إلا أنها لم تكتف بذلك بل توجه الكولونيل ديفو (Desvaux) على رأس كتيبة في حملة استكشافية نحو الجنوب مكونة من 500 رجل و 500 فارس ومدفعين وعند ما علم سليمان الجلابي بتحرك الفرنسيين قام بسجن مبارك شيخ أولاد مولاة الذي كان متعاطف مع الفرنسيين وقام بقتله وأمر أهل النزلة و تبسبست[1] بأن يحملوا ثرواتهم إلى تقرت لكن القوات الفرنسية تراجعت ولم تكمل مسيرتها إلى المدينة

ويبدو أن التحرك الفرنسي ما هو إلا مناورة وجس نبض لاختبار القوة الجلابية لكن سليمان الجلابي كان متفطن لهذه السياسة , فسياسته كانت تتراوح بين الولاء العلني والعداء السري لهم فبعد أن جمع المستعمر الفرنسي المعلومات اللازمة عن منطقة وادي ريغ سواء عن طريق الجواسيس الذين كانوا على شكل رحالة أو عن طريق القوافل التجارية (2).

وأيضا القيام ببعض المناورات العسكرية فأصبح للإدارة الفرنسية معلومات كافية للخطوة التالية وهي عملية الغزو واحتلال مدينة تقرت عاصمة إقليم وادي ريغ .

1- النزلة وتبسبست ضاحيتان من ضواحي تقرت

2 – معاذ عمراني : المرجع السابق ، ص53 .

الحملة الفرنسية :

بعد احتلال فرنسا مدينة بسكرة 1844 بقيت تتطلع إلى احتلال بقية الجنوب الجزائري منها تقرت عاصمة بني جلاب ولم يتحقق لها ذلك إلا في سنة 1854 بسبب انشغال فرنسا بمحاربة أحمد باي و جهاد لأمير عبد القادر و رغبة القضاء عليهما أولا ، و في حقيقة الأمر كانت العلاقة بين بني جلاب وفرنسا في عهد عبد الرحمان الجلابي حسنة ولكن بعد وصول سليمان بن علي إلى الحكم توترت العلاقة بين الطرفين وذلك بسبب تصرفات سلمان المعادية لفرنسا منها استقباله لأعداء فرنسا منهم **ناصر بن شهرة** [1] و **الشريف محمد بن عبد الله** [2] فاضطر سلمان لخداع الفرنسيين لا إيهامهم بالولاء ودفع الضريبة لهم حتى يسمحوا له شراء أغراض التموين التي يحتاجها في تقرت واشترط الفرنسيون على سلمان أن يغلق سوق تقرت في وجه الثوار لكنه لم يفعل وقدم 500 جمل محملة بالمؤونة للشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة واكتشف الفرنسيون ذلك فيما بعد ، وتزامن مع لجوء سلمان إلى وضع تحصينات إضافية في المدينة استعدادا لأي حرب مع الفرنسيين **(3)**.

وبعد اكتشاف فرنسا نوايا سلمان بن جلاب أمر الكولونيل **ديفو** قائد الناحية العسكرية بباتنة جنوده في شهر نوفمبر 1854 بالسير اتجاه الجنوب الشرقي بقيادة القائد **مارسي** (Marcier) وبتاريخ 22 نوفمبر من نفس السنة خيم بجيشه قرب المغير وبعد يومين من السير أي في 24 نوفمبر وصل إلى وغلانة وفي 25 نوفمبر وصل إلى سيدي راشد .

1- **ناصر بن شهرة بن فرحات** ولد عام 1804 تزوج بنت السيد احمد بن سالم سلطان مدينة الاغواط قبل الاحتلال ولما جاء المستعمر رفض الخضوع وتوجه إلى أعماق الصحراء . كافح لأكثر من 24 سنة .

2- **الشريف محمد بن عبد الله** نسبته إلى أولاد سيدي احمد بن يوسف تعاون في البداية مع المستعمر ثم انقلب عليهم وبدأ الجهاد بورقلة .

3 -معاذ عمراني : المرجع السابق ، ص 54 .

فكان في كل قصر يمرون به لا يجدون سوى النساء والأطفال والعجزة لان رجالهم مع الشيخ سلمان بتقرت وبعد وصول الجيش الفرنسي نصب خيامه قرب المقارين وبالمقابل تكون الجيش المحلي من رجال وادي ريغ من المغير إلى تقرت **(1)**.

كما بعث سليمان الجلابى إلى أهل سوف فجاءه، جمع غفير واجتمعوا كلهم في النزلة و تبسبست و الزاوية لتوحيد الصفوف وأدرك القائد الفرنسي مارسي(Marcier) أن الشريف بن عبد الله سوف يعمل على دعم سكان تقرت، وجمع سكان الطيبات لمآزرتهم فقطع الاتصال بتقرت وعزلها من منطقه وادى ريغ وسوف حيث اتجه بتاريخ 27 نوفمبر 1854 إلي الطبيبات لمنع الشريف من وصولها مع أتباعه وألزم سكانها بالبقاء في بيوتهم ثم العودة إلى المقارين لكن كل هذا لم يمنع الشريف من دخول تقرت رفقة2000 مقابل 400 فارس لدعم الشيخ سلمان فقام في 29 نوفمبر بمهاجمة مخيم العدو بالمقارين مما أربكهم وكبدهم خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد وعرفت هذه المعركة بمعركة "**بورخيس**"[2] و طبعا كان رد العدو اعنف وأبشع فبتاريخ 30 نوفمبر حاصر العدو تقرت وقد حدثت في صفوف الشيخ سلمان بلبلة خاصة بعد تخلي أتباع الشريف عنه ، مما دفعه يوم 01 ديسمبر إخراج كل القوم اللذين كانوا معه ليغادر تقرت رفقة الشريف عبد الله بتاريخ 02 ديسمبر و منه إلى توزر بالجريد التونسي، وبهذا خلت الساحة أمام الجيش الفرنسي لدخول تقرت تاريخ 02ديسمبر 1854 تحت قيادة ديفو لتسقط أشهر مملكة عرفتها منطقة وادي ريع وقد ولى الكولونيل ديفو **على باي بن فرحات بن سعيد** قائدا عاما على تقرت ومداشرها وعلى ورقلة والوادي **(3)** ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد كانت هناك مقاومات شرسة أرهقت فرنسا وكبدتها خسائر منها مقاومة بوشوشة .

---

1 – يمينه حضري بن صغير : << **سياسة التوغل الاستعماري بمنطقة وادي ريغ** >> مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 02 ، مجلد 7 ، جامعة غرداية، 2014 ، ص461 .

2– بورخيس :موضع يقع شمال شرق المقارين بحوالي 7 كلم أنظر معاذ عمراني ص 67

3– المرجع نفسه ، ص ص 461 462 .

أقاليم الجنوب :

لقد استطاعت حركة التوسع الاستعماري الفرنسي أن تتخذ لنفسها في الجنوب قواعد وتشمل أراضي واسعة في هذه الصحراء وهو الواقع الذي فرض على الاحتلال إيجاد صيغة إدارية مستحدثة يمكن من خلالها تسير هذه الرقعة وقد تم التصويت على هذا القانون وصدر رسما بتاريخ 24 ديسمبر 1902 ليضم ست مواد توضيحية حدود الصحراء الجغرافية والإدارية والتنظيم المالي بها وقسمت فيها الصحراء الجزائرية إلى أربعة أقاليم عين الصفراء ،إقليم الواحات ، إقليم غرداية و إقليم تقرت.

يخضع كل منها إلى قائد عسكرى وحول ماهية هذه الإدارة أشار الوالي العام جول كامبون [1] في رأيه (وضع هده المناطق الخالية من الأوروبيين تحت إدارة مماثلة لإدارة المكاتب العربية بل لعله من الأسهل والأيسر عدم السعي في إدارتها أصلا، إذ يكفي بدلا من ذلك تعيين ضابط سام مقيم بهده المناطق ... إنشاء مركز عسكرى لحماية ومراقبة رؤساء الأهالي المعينين من قبلنا ، فرض ضريبة متواضعة على السكان ، فرقة للشرطة يتم تجنيد أفرادها من بين السكان وأخيرا مصلحة للبريد) **(1)**.

إن المتأمل في هذه الإدارة المستحدثة بأقاليم الصحراء يجدها تتميز بمميزات هي البساطة تسير بأقل تكاليف وتتميز بالفعالية وبالطبع لا يمكن تحقيق ذلك إلا في حدود إدارة عسكرية ،وحول هذه الإدارة الجديدة يمكن القول أن القانون الخاص بأقاليم الجنوب لم يأتي بنتائج جديدة بقدر ما كرس الحكم العسكري بالصحراء **(3)**

1- جول كامبون : الوالي العام بالجزائر سنة 1892 م .

2 – محمد برمكي : ﴿ **الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954...1962** ﴾ مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهرن السانية ، (2009– 2010) ، ص ص 10 – 12 .

3 – المرجع نفسه ، ص 12 .

الفصل الأول

نظام الري الكولونيالي بمنطقة وادي ريغ

1- نظام الري التقليدي لأهالي المنطقة

2 - الآبار الارتوازية الكولونيالية (تقنيات وأساليب)

3 - الأساليب الكولونيالية في الري

نظام الري التقليدي لأهالي المنطقة

أولا : الآبار التقليدية

بمنطقة الجنوب الشرقي شمال الصحراء وخاصة منطقة وادي ريغ يعتبر حفر الآبار محور أساسي ارتبط بالحياة العامة للسكان في كل فصولها سواء اجتماعيا أو اقتصاديا . لذلك فسكان المنطقة مند استقرارهم في الديار أدركوا أن السبيل الوحيد لاستمرارهم بها المياه لذلك اتجهوا إلى حفر الآبار، فالصحراء رغم قسوتها وجفافها بها خطوط وأحواض مائية سطحية وباطنية ممثلة في جيوب المياه الارتوازية وتعتبر منطقة وادي ريغ أغنى مناطق شمال أفريقيا بالمياه الجوفية **(1)** . والموارد المائية بالمنطقة الصحراوية في حقيقة الأمر تتوزع إلى ثلاثة أشكال :

1- الماء الذي ينبع في باطن الأرض تلقائيا ويجري على السطح مؤلفا أحواض مائية يدعى (البحور)

2- المياه السطحية: التي تغديها الأمطار المتساقطة

3- الآبار الارتوازية : منها التقليدي ومنها الحديث والمؤقت والدائم .

هذه الموارد المائية لا تعد لدى الساكنة في أبجديات حياتهم اليومية ،مصدر للماء فقط بل تتعداه إلى كونها مركز حضاري نشط وهو ما ذهب إليه المؤرخ إسماعيل العربي حين أوجز ما نصه « والبئر إلى جانب كونها وسيلة للحياة هي أيضا نقطة الالتقاء ومركز اجتماعي وثقافي وتجاري عظيم القيمة في الصحراء » **(2)**

1- M.G Rolland : **La colonisation françaises au Sahara d'oued Rir**, Rapports Association française pour avancement des sciences ,Paris, 3 Mars1888, p03.

2- إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1983، ص 20

قبـل التوسع الاستعماري الفرنسي واحتلال المنطقة , عرف الأهالي حفر الآبار مستفيدين من قرب الجوف المائي السطحي ،وقد بلغ تعداد الآبار الأهلية عند التغلغل الاستعماري 492 بئر مائي يصل تدفقه إلى 4م3 في الثانية كمنسوب للبئر الواحدة ذلك سنة 1885م (1) .

والملاحظ أن هذا العدد الهائل من الآبار في مجـال يمتد حوالي 160كلم طـولا علـى 30الى 40كلم عرضا يجعلنا ندرك أن عمليات حفر الآبار التقليدية التي كانت سائدة, لم تستند إلى أي دراسة علمية وهو ما يفسر النتائج التي وصلت إليها تلك الآبار بين تحول بعضها إلى بحور وأخرى طمرت بالرمال وأخرى توقفت نهائيا عن التدفق بعد سنوات من الاستغلال ،وأشار جوليوس ديفال (Jules Duval) إشارة إلى هذا الأمر حيث قال «الآبار الارتوازية محدودة جدا ، لأن الأهالي يجهلون الطبيعية الجيولوجية للمنطقة ، لذا لم يتمكنوا من زيادة عدد الآبار ولا الحفاظ على الموجود منها»(2) .

وبمقارنة بسيطة بين ما أورده السيد رولاند (Rolland) وما أورده جوليس ديفال, حول الإشارة إلى عدد الآبار يشتمل على تناقض بين تعداد وصل إلى حوالي 500بئر إضافة إلى البحور وعددها 21 بئرا مع محاولة ديفال تقزيم الدور الذي قام به الأهالي في هذا الشأن والمراجع أشارت إلى أنه على الأقل مند وصول أولى الاستكشافات إلى المنطقة فإن عدد الآبار يتجاوز 200 بئر(3)

1- M.G Rolland : **op-cit ,** p 05 .

2- Jules Duval : L' Algérie et des colonies françaises , libraire Guillaumin , Paris , PP 44 . 145

3- احمد خوضير : **تقرت بين الحقيقة ...** ، المرجع السابق ، ص 221 .

ثانيا : تقنية حفر الآبار الأهلية بالمنطقة

بحكم أن المنطقة كانت ولا تزال ملتقى الطرق التجارية الصحراوية ولأهمية الماء كأساس للحياة .عرف سكان المنطقة مبكرا تقنيات حفر الآبار الارتوازية بأساليبهم الخاصة ،وتعتبر هذه التقنيات قديمة قدم الصحراء, ويتم حفر الآبار إجمالا بمنطقة وادي ريغ حول القصور[1] بنفس هندسة توزيع حقول النخيل والواحات حولها وذلك لامتيازات عديدة :

1- أن تكون المياه المستخرجة والمتدفقة خاضعة لتعددية الاستخدام (سقي زراعي ، استخدام منزلي) .

2- تجسيد العدالة في الوصول إلى مصادر المياه وبنفس كميات التدفق .

3- الحفاظ على مستوى منسوب المياه في كل بئر حول القصر، ويرى الجغرافي (Jean Bunhes) «أن واحات وادي ريغ يتم تزويدها بالمياه من خلال الآبار الارتوازية مند حقبة قديمة والأهالي يعرفون حفر هذه الآبار »(2) . ويقصد هنا معرفة بحفر البئر التقليدية و ليس الآبار الارتوازية التي لها خصائصها و تقنياتها .

وهو اعتراف من لدن أحد كبار الجغرافيين و وإقراره بمعرفة أهالي المنطقة لتقنية حفر الآبار على شكلها التقليدي والشواهد المادية تثبت إلى يومنا هذا أن القصوريون عرفوا حفر الآبار ، بالشكل الذي أشرنا إليه سابقا(3) .وفيما تعلق بهندسة الحفر و بالعودة إلى نوعية الأساليب والتقنيات المتبعة . ندرك أن الأهالي لهم دراية و لو بسيطة بالخصائص الجيولوجية والهدروغرافية للمنطقة على عكس ما أورده المستكشفون و الجغرافيون خاصة المهندس جورج رولاند .

1- القصور : **القصور الصحراوية** وهي عمران تقليدي يحتفظ بعلامات عمل فني في ميدان التعمير والهندسة المعمارية، فهي تمثل تاريخا مليئا بالقيم و الانتماء لدى سكان المنطقة.

2- Jean Brunhes : **irrigation dans da péninsule Ibérique et dans Afrique du nord** , thèse Doctorat , faculté de Lettres , université de Paris ,éditeur C.Naud ,Paris , 1902 PP 266,267.

3- انظر **(الملحق رقم 2) ص 74**

ريما ما يفتقر إليه القصوريون بالمنطقة الوسائل الحديثة التي لا تتوفر في الوسط التقليدي للأهالي ، فهم اعتمدوا المعول والمجهود العضلي ، مما اعتبر معركة حقيقية ضد ما يفرضه ذاك من صعوبات وعراقيل خاصة صعود المياه وانجراف التربة وصلابة الطبقات الباطنية و يقول Duval : «في ظل أدواتهم التقليدية المختلفة التي لا تتعدى معول صغير فهم لم يتمكنوا من حفر أكثر من 80م كعمق وغالبا ما كان العمل يتوقف بسبب صعود المياه... أو الصخرة الصلبة التي لم يتمكنوا من حفرها...»(1) .

ويعتمد الأهالي للوصول إلى الماء على حفر مكان مربع الشكل على عمق 3م إلى 4م وصولا إلى المياه السطحية **النز** ويعرف لديهم باسم (الواد الفاسد) ثم يجففونها، إثرها توضع منصة خشبية فوق فوهة البئر تتألف من جذوع النخيل لرفع الأتربة و الطمي بالاعتماد جهود ما يعرف بالغطاسين المزودين بمعاول صغيرة وقفف من سعف الجريد. ولحماية البئر يتم إحاطة فوهته 0,70م2 باعتماد قطع من جذوع النخيل التي تثبت على جدران البئر بخليط من الطين الممزوج بنوة التمر لحمايته من الانهيار، ثم تثبت آنذاك المنصة الرئيسية لبدء عملية الحفر(2) . عند الوصول إلى الصخرة الصلبة التي تحتها الماء يتجمع الأهالي لدفع (ضريبة الدم) وهي مقدام مالي يدفع لآخر غطاس سيقوم بثقب الصخرة و تصل المنحة من 500 إلى 1000 فرنك لأن الغطاس سيكون تحت خطر فقدان الحياة ،في حالة الاندفاع الهائل للماء مباشرة (3) .

1-Jules .Duval : opcit , p 143

2-E. castier : **des entrailles de la terre** , edition Nony , Paris , 1902 , p 49.

3- Ibid , p 50 .

أما عن تقنية استخراج الماء اعتمد الأهالي نوعين (اللوريا)[1] التي يعتمد فيها على الحيوان كمحرك لها .لكنها كانت محدودة جدا لهشاشتها وارتفاع تكاليفها ، أما نوع الثاني فهو (القطارة)[2] التي تعتبر منتشرة كثيرا في واد ريغ ووادي سوف ، وتستخدم هذه التقنيات عند ما تتوقف الآبار عن التدفق الطبيعي وينهار منسوب المياه في البئر إلى أقل من 6 أمتار **(3)** .

---

1 – **اللوريا**: و هي آلة مصنوعة من الأخشاب و الحبال يستخدم فيها عجلة تديرها الحيوانات اعتمدت قبل التوغل الاستعماري بمنطقتي سوف و ريغ .(**أنظر الملحق رقم 03)** ص 77

2 – **القطارة :** تستخدم عصى مثبت على قضيب خشبي في جهة منه دلو و الجهة الثانية حجر ثقيل مثبت بحبل يتدلى منه للتحكم في آلية السقي تعتمد مجهود الفلاح .

3- Encyclopedia Berber - (Dattaes / Dattiers) p 07

الآبار الارتوازية الكلولونيالية (تقنيات وأساليب)

أولا : اهتمام الاستعمار بالآبار الارتوازية وأهدافه

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وبداية تغلغله نحو الصحراء خاصة جنوب مقاطعة قسنطينة وصولا إلى الزيبان ثم وادي ريغ سنة 1844 م أولى القادة العسكريون اهتماما كبيرا، بدراسة المنطقة اعتمادا على ما وصلهم من تقارير الرحالة المستكشفين الأوروبيين وخاصة الجغرافيون ، وما تحويه المنطقة من ثروات وموقع جيوستراتيجي و ما مدى ما ستلعبه المنطقة لصالح النفوذ الفرنسي بمنطقة الساحل ، وقد أشارت معظم التقارير الواردة حول المنطقة إلى الجوف المائي العملاق الذي تتوسده المنطقة على امتداد 160 كلم من قوق إلى أورير. مما ساهم في نجاح هؤلاء لإقناع السلطات الفرنسية بضرورة بسط سيطرتها وفرض وجودها الواقعي بالمنطقة خاصة اقتصاديا، ولما لذلك من أهمية لاستمرار الوجود الاستعماري ، وهو ما عبر عنه التقرير الصادر عن الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم : ﴿ تعتبر منطقة وادي ريغ أغنى مناطق شمال أفريقيا فيما تعلق بالمياه الجوفية ومند التوغل الفرنسي أنجزت عديد الأعمال الخاصة بالحفر ...حققت تغيرا واضحا خلال 30سنة ﴾ **(1)**

وقد أدركت فرنسا أن المنطقة كمعبر استراتيجي تجاري سيمكنها من ربط مستعمراتها مع السودان الغربي لذا أرادت التأسيس للاستيطان بالمنطقة من خلال مشاريع الاستيطان الزراعي ، والذي يعتمد أساسا على حفر الآبار الارتوازية وهو ما تبنته الحكومة العامة ممثلة في الحاكم العام الماريشال راندون (Randon) الذي اعتبر البحث عن المياه المتدفقة في المجال الصحراوي بين بسكرة و تقرت ضمانا لاستقرار الكولون وسبيلا لعيش القوافل العابرة **(2)** .

1- M.G Rolland : **op-cit ,** p 03

2- M. Réme : **Rapport de forages artésiens et captage des eaux** , p50.

لذا بعد عامين فقط من استكمال إخضاع المنطقة إنشئت مصلحة الحفر وادي ريغ سنة 1856م لحفر أبار جديدة و تسهيل استقرار الكولون وهو برنامج اشرف عليه قائد الحامية الفرعية ببانتة الجنرال ديفو Desavau , وهو توجه عبر عنه كوتي Coté حين اعتبر وادي ريغ فضاء صحراويا نال اهتمام حركة الاستيطان الزراعي الأوروبي بحكم ارتباطه بحفر الآبار (1) .

وقد افتتح الاستعمار حملته تلك باستقدام خبراء من شركة (ديقوسي لورانت) وعلى رأسهم (المهندس شارل لورانت) والمهندس جيس(Jus) وظهرت أول حفارة بالمنطقة أين حفرت بئر بواحة تمرنة 1 ماي1856م ، استكمل يوم 19 جوان 1956 ، وصل تدفقها إلى 400لتر /دقيقة وسمي هدا البئر ب(نبع السلام)(2)

وتشير المصادر الأجنبية خاصة الفرنسية أن الفضل في انتشار وتحقق نتائج باهرة لهده الحملة الدور الذي لعبه المهندس (Jus) مما ساهم في تأهيل أبار الأهالي وتسارع وتيرة الحفر للآبار الجديدة ، فمند سنة 1856م ضم وادي ريغ حوالي 282 بئر ارتوازي عربي و 21 تجمع مائي بتدفق إجمالي وصل الى52.767 لتر /د بعد سنوات، و في 1 جـوان 1879 بإعتماد الحفارة بلغ عدد الآبار 434 بئر عربي /59 بئر أوروبي مزودة بالأنابيب وبمعدل تدفق إجمالي وصل 164.078لتر/د (3). ثم تدعمت المنطقة بحفارة جديدة يشرف عليها المهندس (لاهوت) 1857م–1858م للقيام بعمليات تنقيب وحفر في الحضنة وصولا إلى تقرت تمكنت من حفر 15ببر ارتوازي (4) .

1- Marc Cotè : **<< des oasise aux zones de mize en valeur >> ,** l'étonnant renouveau de l'agriculture saharienne in Méditerrané ,Tome 9, 2002 , P 05 .

2- M. Réme :<< **Rapport de forages artésiens** ...>> op-cit , P 50 .

3- :<< Rapport des Oasis de l'oued Rir en 1856 et 1879 >> , P 12 .

4- Jules Duval : op-cit , P 145 .

ورغم هذه الجهود إلا أن الهاجس الذي كان يؤرق المنقبين هو مستويات التدفق للإشارة على تدفق لبئر ارتوازي تم حفره . كان بسيدي عمران سنة 1884م شمال تقرت بعمق 70م ودرجة حرارة 18°–26°مئوية(1). وحسب المصادر فأن تدفق الآبار التي تم حفرها من قبل الاستعمار يتأرجح بين 4000لتر /د إلى 6000لتر/د. وقد أحصى رولاند الأكبر سنة 1885حوالي 114بئر فرنسي تم حفرها مقابل 492بئر أهلي بتدفق متوسط 4م3 وقد أشار الباحث أفريد ديرند إلى نفس المؤشرات التي جاء بها رولاند (2).

ثانيا : تقنية حفر الآبار الكولونيالية ووسائلها.

إن جل المصادر الأجنبية والعربية تشير إلى المعرفة المسبقة لدى سكان وادي ريغ لما يعرف لحفر الآبار الارتوازية ، قبل الوجود الكولونيالي ، وهو ما أشارت إليه الاستكشافات منذ ما قبل سنة 1844م . لكن كل المصادر العربية أجمعت أن تقنيات الحفر الأهلية بدائية ، لذا سعت سلطات الاستعمار إلى جلب إمكانات ووسائل حديثة لحفر الآبار واستغلالها مستفيدين من التطور الصناعي بأوروبا أنذاك.

لقد شكلت الدراسات التقنية الاستكشافية خاصة الفرنسة المتعلقة بالأحواض المائية في وادي ريغ والمسارات الخاصة ب الأودية ، على غرار دراسات (جورج رولاند) والتقارير الصادرة بهدا الشأن الضوء الذي أنار الكولون الطريق نحو استيطان المنطقة ، لذا بمعية السلطات شهدت منطقة وادي ريغ غزوا غير مسبق من المغامرين والمستثمرين في إطار ،ما عرف بالاستيطان الصحراوي ولتحقيق نتائج سريعة ،استخدمت وسائل لم تكن معروفة سابقا بالمنطقة كالمضخات الحفارة التي تعتمد على عمود التحريك وقضبان المسح والتحقق والكشف وأنابيب حديدية للدعم وهو ما أشار إليه **برنار بليزي** في كتابه سنة 1580م بعنوان Traite de la Marne(اتفاقية المارن) ما نصه :

1- E . RECLUS: "**LA TERRE ET LES HOMMES EN AFRIQUE SEPTENTRIONALE**" Tome 2 , revue nouvelle géographie universelle , ED Hachette , Paris , 1886 , P 350.

2- A . Durand: **Hydraulique Agricole** , T2 , Paris , 1892 , p 380 .

<< d’ un outil , d’ une tarière munie d’ un manche ou d’ une Tige en bois qu' il allongera souvent les Besoins pour aller prendre des échantillons , de terre ,voire même pour trouver de l’ eaux >> **(1)**

<< أداة او مثقاب مزود بمقبض أو قضيب خشبي يستخدم في كثير من الأحيان للذهاب وأخذ عينات من التربة أو حتى للعثور على الماء >>

لذلك ما أن حل القرن 19م حتى بدأت فرنسا في استغلال تكنولوجيا الحفر بمستعمراتها وخاصة الجزائر . والتي أعطت نتائج هامة بمنطقة وادي ريغ كان أهمها بداية الاستيطان الأوروبي الفرنسي بالمنطقة من خلال الشركات الصحراوية المتخصصة في زراعة النخيل لإنتاج دقلة نور مما أدى إلى الانتشار الواسع لحفر الآبار الارتوازية ، بشكل بدء يقلق السلطات الاستعمارية في حد ذاتها .

ثالثا: التشريعات المائية الفرنسية في صحراء وادي ريغ

لقد أحيطت عمليات حفر الآبار في الصحراء عموما ومنطقة وادي ريغ خصوصا بالعناية والدعم الذي وفرته السلطات الاستعمارية التي شجعت هذا التوجه سواء بإشرافها المباشر أو من خلال الخواص ، لذا فإن القوانين التي صدرت حول المياه على رأسها قانون16جوان1851م لم يرد في طرحه إشارة للمياه الجوفية بحكم أنه أشار إلى الآبار الموجودة سلفا، والتي تستغل بصفة جماعية من قبل القبائل ، وقد أشار السيد **ريمي** محللا للمادة الثانية من القانون سابق الذكر ، على اعتبار أن ما ورد في القانون يخص فقط الآبار ذات الاستعمال العام أو البحور أو ما تعلق بالسقي . ولم يشير إلى المياه الجوفية صراحة**(2)**.

1-E .caustier :<< **Les Entrailles de la terre** >> , op-cit , pp 51 52 .

2-M.rime : **Rapport des forages artésiens** , op-cit, p 99 .

فقانون 1851م يشير إلى الحق العام في المياه السطحية وأمام الغموض الذي اكتشف تفسير القانون المذكور آنفا وتعدد التأويلات بدأت السلطات الاستعمارية مطلع القرن 20م تصدر عديد القوانين الناظمة لقضية المياه في المنطقة, خاصة بعد صدور قوانين إنشاء ما عرف بـ أقاليم الجنوب مثل قانون 1902/12/24الذي منح الحاكم العام مطلق السلطات في الإدارة والدفاع ، ثم قانون 12/30/ 1903 , و 04أوت1905 الذي أسس عمالات أربعة بالصحراء منحت صلاحيتها للحاكم العام ، وهو ما جعل قضية التشريع المائي بالصحراء بيد الحاكم العام مباشرة **(1)** .

لكن الإدارة الاستعمارية أدركت أن المياه بالمنطقة تتعرض لاستغلال غير عقلاني ودون ضوابط مما فتح سجال قانوني في الدوائر الحكومية للميتروبول ، كان نتيجته صدور قانوني 03 جويلية 1915 ; 14مارس1919 بهدف تنظيم المياه بما فيها أقاليم الجنوب لكن في حقيقة الأمر كان الهدف منها هو منع الأهالي من حفر واستغلال مياه الآبار دون طلب رخصة مسبقة من الحاكم العام بالزيبان ووادي ريغ .

و في 18مارس1926 م صدر قرار بمنع حفر واستغلال الآبار سواء كان ذلك للأهالي أو للأوربيين على حد سواء بسبب الاستغلال المفرط أثره السلبي على الأحواض المائية ، والزراعة بالمنطقة , وبتاريخ 1930/03/21م صدر قرار مجلس الدولة الذي نص على وضع جميع المياه السطحية والجوفية ومشتملاتها شمالا وجنوبا تحت سيادة الدولة مباشرة بما فيها التي تحت سلطة الخواص ولا يتم استغلالها الا برخص صادرة عن الحاكم العام **(2)** ورغم هذا التشريع إلا أن سلطات الاحتلال لم تضعه حيز التنفيذ إلا ما تعلق بالآبار المتقاربة فقط .

1- Rrevue . Africane : **volume 81 , année , 1937** , p 01 .

2- M.rime : op-cit , p 100 .

المبحث الثالث : الأساليب الكلولونيالية في الري.

أولا : نظام السقي الاستعماري

مند بدء حملة الاستيطان الزراعي التي واكبت حفر الآبار الارتوازية الفرنسية سنة 1856م واستمرارها إلى سنة 1950م تأسست بالمنطقة عديد الاستثمارات الفلاحية الكبرى التي ضخت أموال هائلة خاصة بالكولون و بتشجيع من الحاكم العام ومرافقة مباشرة من السلطة العسكرية لمقاطعة قسنطينة. مما ساهم في زرع حوالي 160.000نخلة في غضون نصف قرن بين عدة شركات استثمارية إلى سنة 1950م (1)

أما في ما يتعلق بالآبار التي تم حفرها من قبل الكولون أو أعيد تأهيلها في ذات الفترة فقد أشارت التقارير إلى بلوغها ، حوالي 1500بئر ارتوازي بمتوسط تدفق يزيد عن حدود 300.000لتر /دقيقه (2) وقصد تحقيق أكبر حد من الاستفادة والاستغلال الأمثل للمساحات الزراعية في المستثمرات، اعتمد الفرنسيون في الحقول الجديدة المغتصبة على المزاوجة بين نظام الري التقليدي للأهالي وإدخال الوسائل والتقنيات العلمية الجديدة أنداك مثل :

1- تزويد الآبار الارتوازية بنظام يعتمد الأنابيب الحديدية يقطر0,20م (3) .

2- إقامة أحواض لتجميع المياه منشأة بواسطة مواد صلبة (الاسمنت) وربطها بسواقي الفرعية والرئيسية من خلال المفتوحة أولا لخفض معدل الملوحة ثم اعتماد أنابيب الاميونت فما بعد قصد الاقتصاد في الماء ، بسبب إهدار قدر هائل من المياه وكدا للحفاظ على الوصول السلس والمباشر إلى الحقول البعيدة بحكم أن قنوات الاميونت سهلة التثبيت خفيفة تكاليفها معقولة (4) .

1- حميدة عمراوي واخرون : آثار السياسة الاستعمارية ..، المرجع السابق، ص ص. 107 - 108.

2- M . Réme : rapport des forages artésiens, op-cit , p 50.

3- A. Durand : hydraulique agricole …, op-cit , p 380

4- M. J. Lemmt: <<économie d' irrigation dans oasis sahariennes>> , p 109.

كما استخدم الفرنسيون المضخة بالوقود في حالة تراجع منسوب المياه في الآبار خاصة مند مطلع القرن 20م ،خاصة بعد وصول حقول الكولون في المنطقة إلى 112,13هكتار من الأراضي المسقية وبمعدل سقي تجاوز 8238لتر /ثانية في المتوسط **(1)**.

ثانيا: نظام تصريف المياه Drinage

رغم الثروة المائية العائلية وأحواض الجوفية العملاقة بالصحراء الشمالية الشرقية وخاصة حوض وادي ريغ إلا أن هذا الفضاء المجالي يواجه اكبر تحدي زراعي ألا وهو ارتفاع معدل الملوحة للتربة وللمياه . فهي بين (6 _ 9غ) مع وجود عديد العناصر والمركبات التي لا تساعد على نمو النباتات .وقد تعيق حتى النخيل لهذا استدعى الأمر اعتماد نظام صرف خاص من قبل الكولون يزاوج بين التخلص من معدلات الملوحة العالية في التربة من جهة ورفع قدرة تخصيبها لزراعة النخيل من جهة أخرى وذلك بالاعتماد عدة عمليات أهمها :

أ/ غسل التربة : Dessalage وتتم هذه العملية بعد تهيئة الأرض وتسويتها من قبل الفلاحين المستأجرين من قبل الكولون ، يقوم مالك الأرض قبل غراستها بغسل التربة من خلال اعتماد (تقنية الغمر) وذلك لفترات متعددة ويقول لايمت (Lemmt): «استخدام معدل هائل من المياه في الصحراء لضرورة التخلص من الأملاح في التربة مع غسلها دوريا ويكون تصريفها بحفر خنادق»**(2)** .

1- حميدة عمراوي : المرجع السابق ، ص 109

2-M .j . lemmet , op-cit , p 112.

ب/ تصريف المياه الراكدة :

لقد أدرك الكولون مدى أهمية التقنية المعتمدة من قبل الأهالي في تصريف المياه السطحية ومياه الطبقة العلوية القريبة من السطح وذلك باعتماد حفر الخنادق داخل حقل النخيل ثم ربطها بالخنادق الرئيسية خارج الواحة، التي توجه نحو الشطوط و السبخات المنخفضة وكان أهم انجاز قام به الكولون هو حفر تلك الخنادق بطريقة علمية حسب نظام توزيع النخيل داخل الواحة، ففي تقرير السيد بييري Berrier أورد ما معناه ، المسافات التي يجب اعتمادها في حفر الخندق من حيث التوسع والعمق ،لنجاعة دور الخندق، فالحقول من 8امتار بين النخيل تحتاج إلى خندق لكل 4 صفوف مقابل 3 صفوف للحقول التي مسافتها ، من09 – 10 أمتار بين النخيل، كما يتم حفر الخندق على شكل حرف (V) وذلك قصد تفادي الانهيارات وتهتك جدران الخندق وانسداد قناته **(1)**

ولاهتمام الكولون بهذه القضية الحاسمة ومدى تأثيرها على حقولهم وزراعة النخيل التي أضحت ثروتهم الأولى تمكنوا من إقناع الحكومة العامة ،بربط حقول وادي ريغ من قوق إلى اورييير بشبكة تصريف عملاقة وهو ما أشار إليه السيد **ريمي** في تقريره معبرا بما معناه ، و قصد تحقيق أكبر قدر من الاستفادة ، قامت الإدارة بإنشاء قناة رئيسية على شكل خندق عملاق بطول 54كلم من تقرت إلى شط ملغيغ ، مع ربطه بخنادق وقنوات تصريف رئيسية وثانوية حاليا هو بطول 39كلم وتطلب 250,000م3 من الأتربة المرفوعة ووصلت تكلفته ما نحو 706,000فرنك فساهم دلك في جفاف حوالي 30مليون م2 ، من الأراضي التي باتت صالحة للزراعة . **(2)**

1-M. Berier : compte-rendu" **etablisement d'une plantation européenne de dattiers dans l'oued Rir** " semaine du dattier ,5ou 11november 1931, p p350 351.

2- M. Réme : **rapport des forages**…, op cit , p 76.

وهنا يشير السيد **ريمي** في تقريره إلى القناة المعروفة بالسفالة من تقرت إلى اورير والتي شرع في حفرها سنة1925 م ، لكن عميراوي يورد أن الغاية من حفرها تصريف المياه الزائدة عن السقي وتربط تقرت بشط مروان على طول90كلم **(1)** ، ودلك للسقي المبالغ فيه بشكل تصاعدي من 53,000لتر /د1856م إلى 200,000لتر/د 1890م ليصل 278,000لتر/د 1924م في حيز 10/٪من المساحة **(2)**.

1- حميدة عميراوي وآخرون : السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص 138.

2- المرجع نفسه ، ص 136.

الفصل الثاني

الزراعة الكولونيالية واقعها وأهدافها بمنطقة وادي ريغ

1 – النظام الزراعي الأهلي قبل التغلغل الاستعماري

2 – نظام الاستغلال الزراعي الكولونيالي 1870_1962 م

3 – طبيعية الإنتاج الزراعي ودوره الاقتصادي

المبحث الأول:

النظام الزراعي الأهالي قبيل التغلغل الاستعماري

إن النظرة السائدة دوما أن المجال الصحراوي مجالا لا وظيفيا للزراعة باعتبار الظروف الطبيعية والمناخية القاسية ، مع ذلك من رحم المعاناة ولدت زراعة صحراوية في اشد المناطق جفافا فظهرت الواحات الصحراوية التي استقطبت الإنسان ومثلت مجالا للعيش في وجود المياه لقد برزت واحات وادي ريغ كمثال حي عن تحدي الإنسان في تلك الديار للعوائق والصعوبات بفضل امتلاكه لخبرة وتقنية استغلال المياه الجوفية ومعرفته بما يلائم تلك المناطق من نشاط زراعي ألا وهو زراعة النخيل التي تعتبر المورد الأساس والثروة الرئيسة وقد أشار بلييزي Ballesti الى ما أوردت نصه عميشي في مذكرتها .<< من الضروري أيضًا أن يكون الرجال منظمين في المجتمع ، ومجهزين بمعرفة محددة لضمان التنظيم والتوزيع والاستخدام في الممارسة الزراعية >>

" Se également indispensable des hommes organisée en société , munis de savoir faire spécifiques pour en assure l'organisation la répartition et l'usage en particule agricole " **(1)**

وهنا يظهر جليا أن زراعة النخيل في منطقة الصحراء عامة ووادي ريغ خاصة كانت و لازالت لصيقة بالواحات نظير الشروط التي تتوافر بها طبيعيا وبشريا فمن الناحية الطبيعية يجب توافر شروط (كالموارد المائية /الحرارة /جفاف المناخ معظم أيام السنة) أما بشريا فقدرة الإنسان الصحراوي على التأقلم مع تلك الشروط وحسب الدراسات فهده الميزة لا تتوافر إلا في سكان الواحات أو ما يعرف بالقصوريين (سكان القصور) وتشير المصادر العربية إلى أنه في منطقة وادي ريغ من اهتم بزراعة النخيل هم الرواغة ويطلق عليهم لقب رجال الحشان نسبة إلى فسائل النخيل .

1- Farida Amichi : **"une agriculture Transitoire ou service d'une agriculture pérenne dans un forant pionnier saharien en Algérie l'eldorado d'Elghrous"**, thèse Doctoral ,l'intuitu des science et industries du vivant et de l'environnement , Montpellier , France , 2018 , pp 13 – 14.

كان سكان المنطقة يمارسون زراعة النخيل مند أمد بعيد لكنه عادة ما يكون مصحوبا بالزراعات عند ظل النخيل سواء المعاشية أو الأشجار المثمرة ، و تتم زراعة النخيل في أحواض عرضها 70سم و لا يتجاوز عمقها 30--40سم ، توضع الفسيلة ويتم تغطيتها بالجريد لحمايتها من الظروف الخارجية ،مناخ وحيوان تزرع تلك الفسائل بأبعاد لا يتجاوز 5امتار إلى جانب النخيل يزرع الأهالي محاصيل موسمية مثل الأشجار المثمرة التين – الزيتون –المشمش –الرمان أو زراعات معاشيه مثل الشعير أو الخضر و البقول**(1)**

وقد اعتبر سكان المنطقة ممارسة هده الزراعة نشاط اقتصادي محلي ، مكمل يدر عائدات مالية تسمح بالتعويض عن التكاليف أو الخسائر التي يتكبدونها خلال الموسم الزراعي وأفادت تقارير شهرية موجهة إلى سلطة الحاكم العام سنة 1920م إلى هذا الأمر حين أشارت إلى أن سكان القصور يزرعون قطع الأراضي القابلة للري بالحبوب والبرسيم مقابل في ذات الوقت جني الخضر التي يبيعونها بأسعار جد معقولة ، أما المعاملات الخاصة بالتمر، فهي تضعف شيئا فشيئا بسبب غياب المستثمرين (التجار)، في حين تبقى أسواق الحبوب تعرف حركية واضحة **(2)** , مع ذلك تبقى زراعة النخيل هو ما استأثر باهتمام الكولون وخاصة نوع (دقلة نور) لما لها من انتشار تجاري هائل تعدى الحدود المحلية إلى العالمية . بفضل الدعم الذي حضت به من لدن الحكومة العامة بالجزائر وسلطة الميتروبول بفرنسا.

1- Farida Amichi : op-cit , P 14 .

2 G.G.A : **Rapport mensuel sur la situation économique et politique dus Territoires du sud** (Algérie , Décembre 1920) , p 01.

المبحث الثاني:

نظام الاستغلال الزراعي الكولونيالي 1870_1962 م

عرفت الصحراء الجزائرية تحولات عميقة بعد التغلغل الاستعماري بحكم الاستفادة التي حققها الاستعمار من خلال نتائج الاستكشافات الفرنسية والأوروبية ودوافعها العسكرية السياسية والاقتصادية ، فتوجت بما عرف بالاستيطان الزراعي الصحراوي بمنطقة وادي ريغ مند 1870م ، وهو ما ترجمته عديد الإجراءات المتخذة من قبل سلطة الاستعمار، كتشجيع حفر الآبار مند 1858م ، إنشاء الشركات الاستثمارية الفلاحية 1879م. ومد سكة حديد بسكرة تقرت مند 1914م .

ومثلت زراعة وإنتاج النخيل خاصة (دقلة نور)الأساس الذي بنيت عليه منظومة الاستغلال الزراعي الكولونيالي ،لأنها لاقت رواجا تجاريا . في الأسواق الأوروبية والعالمية مما جعلها زراعة موجه وبدعم من سلطة الميتروبول .

وقد كان لنجاح حملة حفر الآبار بين 1856م إلى 1878م ، دورها الكبير في استقطاب رؤوس أموال الخواص ويعتبر **الأغا بن إدريس** أول من أنشأ واحة للنخيل بمنطقة **تالة ام ويدي**[1] 1879م وقد شجعت خطوة بن إدريس الاستثمار الفرنسي في إنشاء حقول وواحات جديدة في أورير و وغلانة ، سيدي عمران ، وفجروا بها آبار جديدة (2)

لذا أمام هذا التشجيع أتيحت الفرصة ، لتأسيس واحات جديدة من النخيل بعد أن قامت, إدارة الأملاك بوضع الأراضي المصادرة من الأهالي حيز البيع ، واستولى عليها عديد المستكشفين والمغامرين الفرنسيين.

---

1 **تالة ام ويدي :** وهي عبارة عن قصر قديم أنشاء به الاغا بن ادريس اول واحة له في سنة 1897 م.

2-M.G.Rolland : La conquête du désert … , op-cit , pp 59- 60.

على غرار الدين اسسو شركة استثمارية زراعية أطلق عليها أنداك (شركة وادي ريغ compagaie de l'oued Rir) و هم A.Fouerou, M.M. Fore حيث حصلوا ا على واحة فوغالة 23000نخلة وواحتين بوادي ريغ (1).

في نهاية القرن 19م اتسع مجال تلك الواحات سواء من خلال استحواذ الفرنسيين على أملاك الأهالي المصادرة أو من خلال إنشاء حقول جديدة أين بلغت المساحة التي تغطيها 63الف هكتار منها (60٪) في شمال شرق الصحراء خاصة وادي ريغ (2) .
ومن أبرز وأهم الشركات الاستثمارية الزراعية التي تم تأسيسها بالمنطقة نذكر منها :

أ/شركة باتنة وجنوب الجزائر1881 من قبل رولاند و كروس فال ، تعداد نخيلها وصل 50,000 نخلة في (الاوريير ، سيدي يحيى و عياطة) وقد حفرت 80 بئر وحوالي 40 كلم من الخنادق (3) ، ومند سنة 1879م وصولا إلى سنة 1950م نعدد أكثر من 360 مستثمرة فلاحيه تابعة للكولون موزعة بين عديد الشركات التي تم تأسيسها لهذا الغرض فإلى جانب ما ذكرنا سابقا هناك شركات أخرى :

ب/الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر بـــ 24200نخلة.

ج/ الشركة الفلاحية لصحراء الجزائر بـــ 13863نخلة.

د/ الشركة الاستعمارية لأفريقيا الشمالية بـــ 9823نخلة

هـ/ شركة واحات شمال أفريقيا بـــ 7664نخلة .(4)

1- M.G. Rolland : la conquête du désert , op- cit , pp 59 60.

2- A. Bouzaher : **Note technique création d'oasis en Algérie** les systèmes agricoles Oasisens , Cihean , Montpellier , 1990 , pp 325 328.

3 M.G. Rolland: op- cit , p 64 .

4 حميدة عميراوي وآخرون : آثار السياسة الاستعمارية ...، المرجع السابق ، ص ص 107- 108 .

وقد حاولت السلطة الاستعمارية تنظيم هذا التسارع الكبير بالانتشار الزراعي في الصحراء من خلال المراسيم الخاصة بالمياه المذكور آنفا زيادة على صدور مراسيم إنشاء أقاليم الجنوب كإطار إداري سياسي اقتصادي اجتماعي تحت الإدارة المباشرة للحاكم العام واستقلالية في الميزانية تحت إشراف سلطة الميتروبول ، و الملفت للانتباه أن تلك المراسيم مند صدورها 1902م إلى سنة 1930م كشفت عن الأهداف الإستراتيجية في عمق الصحراء والتي لاحت بوادرها من خلال إقامة مشاريع ضخمة للبنية التحتية كان أبرز معالمها خط سكة الحديد العابر للصحراء (باتنة . تقرت . ورقلة) بقرض مالي وصل إلى حدود 8ملايين فرنك **(1)**.

كان لمثل هده الخطوات أن شجعت المستثمرين الأجانب خاصة من الفرنسيين لاستيطان المنطقة ، ولو أنه في بداية الأمر كان محتشما ، لكن العائدات التي بدأت تدرها المستثمرات الكلولونيالية زادت من هذه الحركة وأدت إلى تحولات واضحة في النمط الزراعي التقليدي من خلال التحول إلى الزراعة الأحادية حتى في حقول الأهالي بدل الزراعات المتنوعة الفصلية وذلك بسبب ما عرف باقتصاد الماء في ظل المراسيم الاستعمارية الناظمة له .

1- احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر العام ، د. ط ، د. ن ، الجزائر ، 1931م ، ص 275 .

المبحث الثالث:

طبيعية الإنتاج الزراعي ودوره الاقتصادي

أولا: طبيعية الإنتاج الزراعي الاستعماري

لقد شملت المستثمرات الفلاحية الفرنسية بمنطقة وادي ريغ محور التوجه النمطي الزراعي الكولونيالي ، اذ أنه مند برزت تلك الواحات الأوروبية حتى بات إنتاج التمور المعرفة بنوع (دقلة نور) محور نشاط زراعة النخيل في ذات الوقت الذي مثلت فيه ركيزة تجارية أساسية ومصدر للثراء ،فأدى ذلك إلى التحول الزراعي بالمنطقة الذي كان قائما في بنيته على الزراعة المتنوعة بين سنوية وموسمية ونصف موسمية إلى زراعة أحادية طاغية ، اعتمد عليه الكولون في المزارع الجديدة أو حتى تلك التي استحوذوا عليها بالمصادرة من الأهالي ،بل أكثر من ذلك اعتمد الكولون تقريبا على زراعة نوع وحيد من النخيل وهو (دقلة نور) التي باتت تشكل مطلع القرن 20 حوالي 1/3 أنواع النخيل بمنطقة وادي ريغ ذلك لارتباطها بالتصدير نحو أوروبا وشتى دول العالم ، حتى اثر ذلك على الأهالي الذين إتبعوا الكولون ، عند توسيع مزارعهم (حقولهم).

وتورد (عميشي) ما أشار إليه كوزمين kuzzmine عندما اعتبر أن حقول النخيل تحولت إلى إنتاج أحادي mono production ، ولهذا الغرض إسست عديد المستثمرات بمنطقة وادي ريغ تابعة للكولون و التي محصولها يركز على إنتاج دقلة نور وتجارتها.**(1)**

.1- Amichi : op.cit , pp 16 - 17.

كما أن هنري شيرمان أشار إلى ذلك في كتابه (الصحراء)(de sahara) و النخيل التي تقدم التمور وعلى رأسها نوعين دقلة نور التي تباع بنحو 30فرنك في المتوسط للقنطار الواحد والغرس الذي يصل الى20 فرنك للقنطار الواحد كما تنتج المنطقة الشعير, البرسيم ،الخضر ،الفواكه والقطن الذي أعطى نتائج باهرة **(1)** ، وحسب المصادر الأجنبية فإن الإنتاج السنوي للتمور إجمالا يصل إلى حدود (2.5) مليون فرنك بحساب 0,35فرنك كمتوسط للكلغ الواحد في السوق المحلية **(2)** .

لكن إجمالا الإنتاج العام للتمور في المنطقة متعددة حيث نسجل أكثر من 31صنف من التمور آنذاك، لكن التي حضيت بالاهتمام الأكبر، ثلاثة أنواع تعد واسعة الانتشار دقلة نور، الغرس و الدقلة البيضاء[3] .

1-Henri Schirman : Le Sahara , s ed , s edt , 1893 , p78 .

2- M.G . Rolland : " **le Régime des Eaux artésiennes de l'oued Rir** " Revue l'écho du Sahara journal de l'arrondissement de Batna , n°302, Aout 1882, p 114.

3 - ينظر الملحق رقم 05 ص 77

كيفية جني المحصول في مزارع الكولون :

عملية جني التمور رغم أنها تستند في الأساس لما تم التعارف عليه مسبقا من قبل الأهالي ،إلا أن الكولون ادخلوا على هذه العمليات تقنيات متعددة تبدأ من ما قبل الجني إلى انتهاء إلى ما بعده ، فمن ما ادخله الكولون كعمليات قبيل جني المحصول الآتي:

1-رش المحصول ببعض المستحضرات الكيماوية (الفسفور) حماية له من الأمراض.

2-تسميد الأرض قبل تلقيحها في شهر افريل من خلال تزويد التربة بالسماد الطبيعي يضاف إليه (الازوت +البوتاس).

3-تلقيح إناث النخيل باعتماد ما يعرف (بلقاح الذكار) وتوضع قبضة من اللقاح في قلب النخيل الإناث عند الأزهار وهي تنمو في العراجين ، واعتبر الكولون أن ذكارا واحد يكفي لتلقيح 400 نخلة .

4-يتم زبر وسط العرجون بتخلص من 1/3 منه بهدف تحقيق أمرين ، زيادة حجم التمرة الواحدة، بحدود4غ وكذا جودتها من حيث النعومة والطراوة وهو ما أشار إليه لوروي بيريو حين أورد بالقول « لقد اعتمدت توليفة لتسميد الأرض ممثلة في الازوت و البوتاس والسماد الطبيعـي فقدمت نتـائج جيدة حسب العينات المـدروسة في المـحطة »**(1)** .

5- تغطية التمور بواسطة أكياس بلاستيكية تحيط بالعراجين (التمور) لحمايتها من الظروف المناخية القاسية، الأمر الذي ساهم في نضج التمور بسرعة وجودة رائعة وهي تقنية تعود في الأصل إلى السيد ترابوت (Trabout) مدير مؤسسة البستنة بالجزائر**(2)** وهو مؤسس محطة التجارب بالاغفيان سنة 1932 م ، ويتم جني التمور ابتداء من منتصف شهر أكتوبر بطريقة تقليدية تماما أي الاعتماد على المجهود العضلي للأهالي .

1-Leroy. Pereau : "expérimentation sur le palmier dattier en Algérie " Reive fruite , Algérie, N° 6 , Vol 06 , 1951, P 238.

2- M.Jonnart :Direction dus Territoires du Sud "situation générale des Territoire du sud de L'Algérie pendant les Années 1916-1917-1918 **Rapport d'ensemble** , Maison Bastide , Alger , 1919, PP 46 68 .

3 – انظر الملحق رقم 06 ص 78

إن الملفت للانتباه أن طريقة الجني هذه لا تزال سائدة بالمنطقة إلى يومنا هذا ولم يحاول الكولون التدخل للتعديل عليها، قد يكون ذلك لغياب الوسائل الموافقة والملائمة وقد يكون ذلك مرتبطا بحساسية العملية التي لا يمكن أن تكون دون الدور، الذي يؤديه الفلاح بعد جني التمور حيث يتم على مستوى تلك الواحات الفرنسية اتخاذ مجموعة من العمليات قصد إعداد التمور لتوجيهها نحو الأسواق المحلية أو الدولية تتلخص فيما يلي :

1-تنقية التمور من كل الشوائب وأحيانا غسلها خاصة تلك التي تعد للتصدير نحو أوروبا.

2- تبخير التمور في أفران خاصة لزيادة طراوتها ومعالجتها لتكون معدة للتصبير ثم للتصدير

3-وضع التمور في صناديق خشبية خاصة وإحكام غلقها، و وضع الوسام الخاص بالشركة الزراعية عليها.

4- توجيه التمور نحو الموانئ والنقل من خلال محطة القطار بجامعة ,تقرت, المغير ، ومنطقة وادي ريغ في حقيقة الأمر تنتج واحاتها عديد المحاصيل الفلاحية الموسمية وشبه الموسمية التي تكون عادة في ظل النخيل ،كالشعير ،الخضر والفواكه ،مثل التين ،العنب ، الرمان وغيرها **(1)** . إلى جانب بعض الزراعات شبه المدارية التي أعطت نتائج باهرة .مثل زراعة القطن ،لكن بقيت هذه المنتجات محدودة جدا لاهتمام الكولون بزراعة التمور التي تدر عليهم أموال طائلة ،فالمصادر الأجنبية وخاصة الفرنسية تشير أن حوالي 5.5مليون نخلة ثروة المنطقة بعائد سنوي يتجاوز 12 مليون فرنك في الثلث الأول من القرن20م**(2)** هذا لعموم نخيل الصحراء مما يعد ثروة حقيقة .

1-كلثوم بن عطية : **تطور الطابع المعماري في مدينة تقرت خلال العهد الاستعماري (1854 – 1962)** مذكرة مكملة تدخل في متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ تخصص المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الشهيد محمد لخضر الوادي ، السنة الجامعية 2018-2019 ، ص 63 .

1-P. Godffroy:" **Programme des chemines de fer des les Territoires du sud**".

G.G.de L'Algérie, ed Typographie Adolphe jour , Alger , 1916 , p 18 21 .

الدور الاقتصادي لزراعة التمور

أن الأهداف التي سطرتها حكومة الميتروبول والحكومة العامة في الجزائر لإقناع الكولون بالتوجه نحو الصحراء وخاصة جنوب عمالة قسنطينة ارتبطت بالأغراض العسكرية السياسية والإستراتيجية وحسب ، بل تعدته وبقوة إلى الأهداف الاقتصادية والتي مع توسع حركة الاستيطان، فبعد سنة 1870م أصبحت بعدا أساسيا للسياسة الفرنسية في منطقة الصحراء عموما ووادي ريغ خصوصا ، فأغلب النصوص التاريخية التي عاصرت الحملات الفرنسية على إقليم وادي ريغ أشارت أن الغاية الأساسية من الاحتلال الفرنسي لمنطقة تقرت وما جاورها ، هوتطوير المنطقة اقتصاديا ،خاصة زراعة النخيل **(1)** .

كما أن البدايات الأولى للوجود الاستعماري بالمنطقة دفع بالمستثمرين إلى الهرولة نحو المنطقة ، فنسجل ما ذكره **نيسون** أنه في بداية احتلال تلك الأقاليم بلغ عدد الملاك الأوروبيين 57 مالك اي 0,55٪منهم يستحوذون على 10٪ من منـتوج النخيل **(2)** ، ورغم أن المنطقة تزخر بعديد الثروات إلا أن الاهتمام بالتمور ،كان وليد ما تشكله تلك الزراعة على كافة الأصعدة ، فهي الأولى كمحور اجتماعي ارتبطت به القصور وهي الأولى تجاريا ،بقيمتها وحجمها وحضورها القوي في الأسواق العالمية ، وهو ما يفسر إصرار الإدارة الاستعمارية المحلية أو المركزية على إنجاح مشروعها الزراعي الصحراوي من خلال الدعم اللامشروط للكولون قصد إنشاء مستثمرات فلاحيه كبرى ومرافقتهم لوجيستيكيا ، من خلال الحضور العسكري لهندسة الجيش في حفر الآبار الارتوازية ،وإنشاء المحطات الخاصة بالأبحاث الزراعية (الأغفيان) بين المغير وجامعة على يد الجنرال جاك كارد M.J.CARDE أين اعتمدت هذه المحطة سنة 1923 م وتم تأسيسها فعليا من قبل المهندس ترابوت (trabot) في 06 جانفي 1932م **(3)**.

1-رضوان شافو : **مقاومة تقرت وما جاورها للاحتلال الفرنسي** ص 52.

2-كلثوم قسوم:**السياسية الاستعمارية الفرنسية بالجنوب الشرقي الجزائري بمنطقة وادي ريغ** نموذجا(1844-1947) مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، شعبة التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2014-2015 ، ص80 .

3- المرجع نفسه ، ص 82 .

وتشير اغلب الدراسات التي قام بها الأوروبيون خلال حملاتهم الاستكشافية أن محور السياسة الاقتصادية ارتبطت بزراعة وإنتاج تمور دقلة نور ،فمثلا يقول J.DE Neufvilles من خلال معلوماتي قيمة التمور عادة مرتبط بنوعيتها واعتبارا لعمر النخيل مما يجعل الإنتاج يتراوح بين35 فرنك إلى 110 فرنك للنخلة الواحدة ، لكن هو في المتوسط بين 10فرنك إلى 40 فرنك لكل الأنواع لذا ندعم مواطنينا بقوة للاستحواذ على الواحات بالجزائر وحتى الأوروبيين (1) ، هذا الاهتمام جعل الزراعة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ذات أولوية خاصة (دقلة نور) ، ذلك من أجل تصديرها نحو الخارج ، و من الدلائل على تلك المشاريع الكبرى للبنية التحتية التي أقامها الاستعمار في الصحراء وخاصة منطقة الواحات بوادي ريغ يأتي على رأسها، إقامة سكة حديدية الخط العابر للصحراء (باتنة+ بسكرة + تقرت + ورقلة) كما أسلفنا ذكرا و الذي شرع في إنجازه سنة 1914م كما أقيمت مشاتل متخصصة في إنتاج فسائل الجبار من نوع (دقلة نور) والتي أصبحت تصدر ابتداء 1910م إلى الولايات المتحدة الأمريكية لغرسها في كاليفورنيا (2)

ومع تزايد نشاط زراعة النخيل وتفوقه على بقية الزراعات الأخرى خلال فترة الحرب العالمية الأولى .تزايد أعداد النخيل فوصلت في الصحراء الشمالية خاصة المنخفضة إلى حوالي 6 ملايين نخلة سنة1921م (3) ، الأمر الذي جعل انتاج التمور يتزايد تدريجيا ليبلغ حدود 300 الف قنطار بين 1946و1950 م والحديث عن الاقتصاد الزراعي الصحراوي ،الممثل في التمور يجرنا إلى الحديث على الأطراف المتداخلة فيه ،من متعاونين ووسطاء ،خاصة التصدير الذي عرف تطورا كبيرا عبر ميناء (نوفوفيل) أي سكيكدة حاليا لما له من أهمية بسب تخصصه في صادرات التمور نحو ميناء مرسيليا ، كما أصبحت علامة (دقلة نور) منتوج مسجل عالميا.

---

1 –T. DE Noufville : **Note au crayon sur Algérie**, Tome 1, ED .chaix , paris,1882 P 12 .

2-M. G. Cardé : " **Les Oasis de l'oued Rir en 1856 a 1879** "suivies du résumé des travaux de sondages exécutes dans le département de constantine de 1878a 1879 , ED Marle , constontine , 1879 , P 16 .

3– حميدة عميراوي وآخرون : آثار السياسة الاستعمارية ، المرجع السابق ، ص 108 .

الفصل الثالث

نتائج و انعكاسات النظام الكولونيالي على المنطقة

1 – التوسع الاستعماري والسيطرة على طرق الصحراء

2 – النظام الكولونيالي و أثاره على سكان المنطقة

3 – الآثار البيئية

التوسع الاستعماري والسيطرة على طرق الصحراء:

في الوقت الذي كان الفرنسيون جادين في الغزو والتوسع نحو الجنوب الجزائري والصحراء أولو اهتمامهم بموضوع المواصلات التي تمثل العنصر الأساسي والفعال، وقد اهتموا في بداية الأمر بالتعرف على طرق القوافل الصحراوية القديمة وتحديدها بواسطة الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافية المكثفة التي كانوا يرسلونها إلى الجنوب ، و بواسطة كذلك دراسة كتب الرحالة العرب الدين جابوا الصحراء وكتبوا عنها أمثال :ابن بطوطة ، الإدريسي ، ابن حوقل ، ابن خلدون ، البكري، حسين الوزان وغيرهم من الرحالة.

ومن ضمن من درس هده الطرق وتعرف عليها نجد قودراي (Goudray) الذي يذكر مجموعة من الطرق من بينها طريق سكيكدة و قسنطينة إلى أ مفيد و الهقار و تومبوكتو ويمر هدا الطريق بباتنة وبسكرة و تقرت و ورقلة .

« والبيوض وامفيد وتيمساو وايفرنان إلى مبروك وتمبوكتو و إلى شط بوروم » وقد مر على هذا الطريق **فلاتر** عبر حوض ايغرغر ، ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكرة ويتجه إلى وادي سوف ومن هناك إلى غدامس **(1)** ، وكان هدف الفرنسيون من التوسع والسيطرة على الطرق ما يلي :

_ تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية .

_ ربط مستعمراتهم المختلفة بعضها البعض في الشمال والوسط والجنوب .

_خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق أفريقيا **(2)**

1- حسيبة زريبي : **اثر الموانئ الجزائرية في الاقتصاد الكولونيالي 1850-1914** مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، 2015 ، ص 74 .

2- مرجع نفسه ص ص 74 – 75 .

وبعد إحكام الاستعمار الفرنسي السيطرة العسكرية على الشمال الجزائري انتقل مباشرة للتنفيذ على أرض الواقع الإستراتيجية الاقتصادية لاستغلال وتحويل خيرات الجزائر نحو الميتروبول الفرنسي وتتمثل هذه الإستراتيجية في ربط مناطق الغنى الاقتصادية للجزائر بأهم الموانئ القريبة منها، ومن ثمة القيام بعملية تصديرها نحو الموانئ الفرنسية المجاورة لها .**(1)**.

تجارة التمور:

لقد كانت الجزائر ذات أهمية كبيرة بالنسبة للسوق الفرنسية فقد عملت فرنسا على توجيه منتجات الجزائر إلى الخارج. وتعد الجزائر أول دولة من دول شمال إفريقيا في إنتاج التمور لأنها تملك أكثر من 7 ملايين نخلة تفوق بذلك تونس والمغرب ، والتمور هي ثروة بلاد الجنوب ، فالجنوب الجزائري يحتوي في واحاته على 6 ملايين نخلة مثمرة منها مليون نخلة تنتج التمر المعروف ب **دقلة نور** والتي هي أحسن أنواع التمر في العالم . (2)

أما محصول التمر في الجزائر سنويا فهو نحو **مليون و ثمانو مئة الف** قنطار وتصدر الجزائر حوالي ربع إنتاجها. من التمور عبر ميناء فيليب فيل إلى الدول الأوروبية وأهمها فرنسا التي استوردت سنة 1900م ما يزيد عن 200الف قنطار من دقلة نور وايطاليا استوردت في نفس السنة 5937 قنطار ،وبلجيكا 545قنطار **(3)** ونظرا لنوعيتها الجيدة بدأ الأمريكيون في استيرادها ابتداء من 1910 **(4)** .

1_ حسيبة زريبي: **اثر الموانئ الجزائرية في الاقتصاد** ، المرجع السابق، ص ص75 –76.

2- المرجع نفسه ، ص ص 50– 51 .

3- مرج نفسه ، ص ص 52 – 53 .

4– يمينه حضري بن صغير : المرجع السابق ، ص 35 .

وتشير بعض المصادر والمراجع انه بعد دخول الاستعمار الفرنسي نشطت تجارة التمور في المنطقة من طرف الفرنسيين، حيث لعب المستوردون التابعين لمدينة مرسيليا دورا أساسيا في دعم هذا التوجه لذلك أخد تصدير تمور الجزائر نحو فرنسا مند العقد الأخير من القرن 19اكثر من 2000طن عام1901م و3000طن عام 1904م وكانت النسبة الأكبر من منطقة تقرت، فقد عمد الفرنسيون إلى إنشاء العديد من الشركات منها شركة Deviq Marcel للنقل بوادي ريغ سنة1890م تحت اسم الشركة الصحراوية للسيارات بعقد يدوم 99سنة إي إلى 1989م لنقل البضائع ما بين جنوب أفريقيا وشمالها مرورا بتقرت وقد ازدهرت أكثر مع وصول خط السكة الحديدية إلى تقرت سنة1914عبر الصحراء لربط شمال البلاد بجنوبها **(1)**.

وفي سنة 1949بحلول موسم جني التمور قام الفرنسيون بالسيطرة على تجارة التمور وذلك بإرسال أعوانهم لمنطقة الزيبان ووادي ريغ من أجل التفاوض مع فلاحي المنطقة ، وقد كان هؤلاء الممثلين يملكون مكاتب ومخازن على مستوى مدينة بسكرة وتقرت ودلك بهدف تطوير تصدير دقلة نور حيث نجد في سوق باريس منتوج التمور من النوع الرفيع موضوع في علب بيضاوية الشكل ويباع بثمن من 06 الى07 فرنك فرنسي الكيلوغرام الواحد في حين تم شرائه من فلاحي المنطقة ب0,30فرنك فرنسي اي بزيادة 20مرة عن السعره الأصلي **(2)** . وعملوا أيضا على أحداث التعاونيات المصدرة للتمور وقد ضمنت أكثر من 50تعاونية لكن تقلصت فيما بعد الى 46 تعاونية سنة 1952 م ليتقلص إلى 10 تعاونيات سنة 1960.

1- بن سالم و حجاج : زراعة النخيل وتأثيرها ، المرجع السابق ، ص 62.

2- مرجع نفسه ، ص 63 .

و قد عملت هذه التعاونيات على إنشاء هياكل الهدف منها السيطرة التامة على المحصول و يبدأ ذلك من تواجد أعوانهم في الواحات و مناطق الانتاج و اختيار أحسن منتوج و تنظيم عملية الجني التعليب و التغليف إلى إجراء اتفاقيات مع ناقلي السكة الحديدية و الشاحنات **(1)**

وأهم المزارع في منطقة وادي ريغ هي مزرعة رانو(تقرت) ومزرعة رانو (جامعة) ومزرعة الاغفيان (جامعة) و مستثمرة ديفيك (تقرت) والجدير بالذكر أن الزراعة عند الكولون كانت منظمة والمزارع كانت منجزة بإتقان للأسف بعد الاستقلال أهملت ولم تبقى كسابق عهدها.

1- سعاد و حجاج: زراعة النخيل وتأثيرها ، المرجع نفسه ، ص63 .

السكة الحديدية العابرة للصحراء ودورها :

بعد ما أحكم الاستعمار الفرنسي السيطرة العسكرية على الشمال الجزائري وبعض واحات ومدن الصحراء ، انتقل مباشرة لتنفيذ على أرض الواقع الإستراتيجية الاقتصادية لاستغلال وتحويل خيرات الجزائر نحو الميتربول الفرنسي أو الأسواق الدولية.

وتتمحور هذه الإستراتيجية في وضع منظومة متكاملة تهيكل المجال الجزائري وفق ثلاث مركبات ومفاصل أساسية لتحقيق الأهداف المحددة وهي تتمثل في ربط مناطق الغنى الاقتصادية للجزائر (المناجم والمزارع ..) بأهم المناطق الرئيسية القريبة منها مثل ميناء عنابة ،سكيكدة ، في عمالة قسنطينة .

إن ظهور فكرة إنشاء شبكة من السكك الحديدية في الجزائر يعكس الاهتمام الفارط للإدارة الاستعمارية بهذه المستعمرة ونية الاستيطان فيها، فهي سياسية ناجعة في استيطان المعمرين وانتشار نفوذهم ،ولقد طالبت الإدارة العسكرية بضرورة إنشاء شبكة السكك الحديدية لنقل الوحدات العسكرية نحو مناطق الثروات .

ويعود تاريخ السكك الحديدية إلى النصف الثاني من القرن 19 حيث نقل الفرنسي روندون(Rondon) المرسوم المتعلق بالسكك الحديدية للجزائر ، فأقامت مجموعة من الخطوط والسكك الحديدية من بينها خط سكيكدة –تقرت الذي يتقاطع مع الخط الطولي الرئيسي عند مدينة الخروب بالقرب من قسنطينة وهو يربط الواحات الصحراوية وآبار البترول بميناء سكيكدة فيما بعد أي سنة اكتشاف البترول في الصحراء الجزائرية **(1)**. فخط السكة الحديدية وصل إلى تقرت لربط الشمال بالجنوب**(2)** لنقل المنتجات الصحراوية إلى الخارج خاصة منتوج دقلة نور.

1- زريبي: **اثر الموانئ الجزائرية في الاقتصاد**، المرجع السابق ، ص ص68- 70 .

2- أنظر الملحق رقم 07 ص 79 .

النظام الكولونيالي وآثاره على سكان المنطقة

في ثمانينيات من القرن 19 بدأت بعض الواحات تعاني من الجفاف بداية من سيدي خليل ، بل إن الجفاف قضى تماما على واحتي سيدي راشد ،و الهرهيرة ، وذلك بسبب الإدارة الاستعمارية التي منعتهم من حفر الآبار لحماية مزارعها ، فنتيجة للحالة الاجتماعية المزرية ، اضطر السكان للهجرة إلى خارج الإقليم حيث هاجرت بعض العائلات من تقرت إلى الجريد التونسي وأخرى من تماسين وبلدة عمر إلى الزيبان .....الخ .

ومن أكثر القرى هجرة هم سكان غمرة وسيدي راشد لأن أراضيهم جفت ونخيلهم يبست ،دلك أن منحنى الآبار العربية أخد يتسم بالهبوط سواء من حيث العدد أو من حيث المنسوب في الوقت الذي كانت (الآبار الفرنسية) تزداد عددا ومنسوبا ، وهدا يعود إلى ملكيات الكولون في الجهات الشمالية من وادي ريغ التي تم سقيها عن طريق مياه الآبار الواقعة جنوب (الآبار العربية) والأكثر ارتفاعا وبالتالي انخفضت إنتاجية غابات النخيل المتضررة واختفت أنواع كثيرة من التمور مابين (1930–1950) فبات أغلبية أهل وادي ريغ مهددين بالمجاعة والفقر ، وعندما كثرت مزارع المعمرين وتدفقت المياه الجوفية عادت بعض الأسر المهاجرة (1) من جديد في جامعة والمغير ، فالسلطات الاستعمارية عملت على تطبيق هذه السياسة لكي يضطر السكان إلى العمل في مزارعهم عملا بنصيحة أحد الكتاب الفرنسيين الذي قال « يجب علينا أن نستولي شيئا فشيئا بدون هوادة ولا شفقة على جميع مزارعهم ومراعيهم ونثقل كواهلهم بضرائب مرهقة حتى يتعذر عليهم الحياة فلا يجدون مايسدون بيه رمقهم فيصبحون آنذاك بين أمرين لا ثالث لهما إما أن يثوروا ا فنسحقهم، أو أن ينخرطوا في جيش فرنسا للدفاع عنها » (2)

1– بن سالم و حجاج: زراعة النخيل وتأثيرها على ...، المرجع السابق، ص 52.

2– المرجع نفسه ، ص 52

ولم تتوقف السلطات الاستعمارية عند هذا الحد بل ذهبت إلى أكثر من ذلك ، وهو إثقال كاهل السكان بالضرائب المتمثلة في (العشور ، اللزمة ، الزكاة ، السخرة) وهذا ما أدى إلى إفقار السكان وانخفاض في مستوى المعيشة وارتفاع معدلات البطالة ودفع بالبعض منهم إلى التخلي عن ممتلكاتهم والقبول بالعمل في خماسين في حقولهم .

وقد كان ما بين سنوات(1900-1962) سيطرة كبيرة من المساحات الزراعية من طرف المعمرين والجزائريين المتعاملين مع السلطات الاستعمارية في وادي ريغ (1) . فمثلا الضرائب ارتفعت إلى 13500فرنك سنة 1919م بعد ما كانت 4500فرنك سنة 1853م ولم يتوقف عند هذا الحد بل زاد إلى أن طال الخماسين حيث فرضت عليهم غرامات مالية تصل إلى 12,50 فرنك للمحراث الواحد الذي لا يحرث سوى 15هكتار . (2)

كذلك تم القضاء على الثروة الحيوانية التي تراجعت بنسبة 80٪ بسبب النظام الذي فرضته فرنسا على مربي المواشي هكذا كانت تحمي فرنسا أراضي المعمرين الرعوية ، المقيمين في المراعي الصيفية هذا النظام ترك البدو لا ينتقلون إلا باحثين عن العمل بعد فقدانهم لقطعانهم حيث بلغ النقص أقصى حد له في الحيوانات سنة 1910م في المناطق الجنوبية ،إضافة إلى سنوات القحط والجفاف التي كانت تصيب المنطقة من وقت لآخر، وكذا الأوبئة والأمراض التي فتكت بالماشية ، فالجفاف اجتاح الأقاليم الجنوبية بين (1920-1924) أدى إلى فقدان 2/3من الماشية و1/3 من الإبل (3) .

1- بن سالم و حجاج: **زراعة النخيل وتأثيرها في** ، المرجع السابق، ص ص 53 - 54.

2- المرجع نفسه ، ص ص 54 -55 .

3- داود شريفي :**التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري(1844 1912)**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر ، شعبة التاريخ ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، 2015 2016 ، ص 148.

الآثار البيئية

لقد كان التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وتغلغله فيها نقمة كبرى وكارثة أعظم على الاقتصاد في الصحراء، ويتجلى في استنزاف الثروات الباطنية بالتنقيب عن المياه عبر حفر الآبار الارتوازية من طرف المعمرين والمستثمرات الأجنبية وبنسبة كبيرة خاصة في منطقة وادي ريغ و الزيبان، حيث ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الاستعمارية فازدهرت مغروساتهم، في المقابل أتلفت حقول النخيل خاصة بالأهالي كما لم يحل محلها أنواع أخرى ،في المقابل الفلاحين لم يستطيعوا إصلاح أراضيهم البور التي لم تفرنس ، بسبب نقص المياه و عدم قدرتهم على حفر أبار أخرى، فمثلا في 1930م في الاغواط تضاءلت المساحة الفلاحية وماتت حوالي 3000 شجرة ، وكان النقص في المياه في الآبار الارتوازية راجع للاستغلال غير العقلاني لهذه المياه ففي سنة 1924م بلغت المياه المستخرجة في الدقيقة الواحدة 278000 لتر بعد ما كنت تبلغ سنة 1890م حوالي 200,000 لتر ، وقد استخرجت هده المياه من مساحة جغرافية ضيقة جدا لا تكاد تساوي 10٪ من المساحة المخصصة لها، هذا ما أدى لاستنزاف المدخرات المائية وقلة المياه **(1)**

ومن جهة أخرى اتبع الاستعمار سياسية القضاء على نظام الملكية الزراعية وتسهيل عملية الحصول على أراضي بالمنطقة بدون مقابل وإعطائهم قروض مالية ،وقد كان لقانون 26جويلة 1873 فضل في تحطيم نظام الملكية وحرية التصرف للمستوطنين في أراضي الجزائريين فكان من نتيجة دلك إقامة مستثمرات فلاحيه وتسخير أبناء المنطقة للعمل بأبخس الأثمان ومع بداية 1880م بدأ بعض الأوربيين يستقرون بوادي ريغ **(2)** ولو أن عددهم كان قليلا فأسسوا أول الشركات بالمنطقة مثل شركة وادي ريغ كانت تملك 50الف نخلة تحت قيادة جورج رولاند الأكبر ، هذا الأخير الذي قام بعدة دراسات حول الثروة المائية بوادي ريغ .

1- داود شريفي: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب ، المرجع السابق، ص ص 147- 148.

2-يمينه حضري بن صغير : المرجع السابق ، ص 35.

أن الفرنسيين عندما دخلوا المنطقة وجدوا سكانها بارعين في حفر الآبار التقليدية ، وقد كان لزيادة حفر الآبار الارتوازية اثأر سلبية على الآبار التقليدية كما ذكرنا سابقا خاصة بعد 1886 إذ ازداد الأمر تدهورا مما تسبب في جفاف الواحات المرتفعة والقصور في الوقت الذي تعرضت فيه المناطق الأكثر انخفاضا نتيجة السقي المفرط إلى ظهور السبخات وتشبع التربة بالمياه ،وقد استمر الوضع إلى سنة 1925م عند ما انطلقت عملية حفر السفالة لتصريف مياه النز. ولكن ما أن جفت أملاك السكان خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت ملكية المستعمر بالمنطقة ليصبحوا مع حلول 1950 يملكون عشر مجموع نخيل وادي ريغ **(1)**.

1- يمينه حضري بن صغير :المرجع نفسه ، ص35 .

الخاتمة

منطقة وادي ريغ كغيرها من مناطق الوطن خلال الحقبة الاستعمارية . شهدت نفس الأوضاع من حيث تطبيق السياسة الاستعمارية ، القائمة على مبدأ الاستحواذ على خيرات البلاد ليس هذا و حسب بل ذهبت إلى ابعد من ذلك ألا و هو فرنسة المحيط بكل القواعد التي يقوم عليها مستهدفة بالتالي القضاء على الكيان الجزائري و ارثه التاريخي خاصة و الحضاري عامة و هو أمرا لمسناه من خلال دراستنا التي خلصنا فيها إلى عديد النتائج .

- لقد عبر سكان وادي ريغ مند البدايات الأولى للتوغل عن رفضهم القاطع للوجود الفرنسي و قاوموا توغله بكل الأساليب المتاحة مما أخر الاحتلال الفرنسي للمنطقة حتى النصف الثاني من القرن 19م .
- رغم أن الحكم الفرنسي بالجزائر عرف مرحلتين قبل 1870 في ظل النظام العسكري ثم بعد عام 1870 في ظل النظام المدني إلا ان مناطق الجنوب عموما و وادي ريغ خصوصا بقية تحت الإدارة المباشرة للعسكريين بمعية الحاكم العام و رغم صدور القوانين الناظمة للوضع القانوني و الإداري مند 1902م إلا أنها منحت صبغة خاصة و هو ما يعزز الاتجاه القائل بالأهمية الحيوية لمناطق الجنوب .
- لقد أدركت فرنسا بعد رحلاتها الاستكشافية مدى لأهميةالاستراتيجية للمياه و توافرها فقد لعبت على هذا الوتر الحساس و اعتمدت حفر الآبار كوسيلة سلسة و ناجعة لإخضاع المنطقة بتدريج و منه فرض الوجود الاستعماري بها .
- ان النظام الخاص بالري و أساليب الزراعة الكولونيالية لم يحدث تغييرا في البناء الاقتصادي او الوضع الاجتماعي القائم بالمنطقة بل سعت السلطة الاستعمارية الى الاستفادة مما هو قائم و تطويعه بالقوة خدمة لمصالحها .
- لقد أدت السياسة الحكومية المنتهجة في المجال الزراعي إلى قناعة راسخة لذا الميتروبول و هي تحويل المنطقة إلى اكبر فضاء إنتاجي للتمور المعدة للتصدير لذا اهتمت بالبنية التحتية من شق للطرق المعبدة و كذا مد السكك الحديدية باتجاه المنطقة خدمة للطموحات التوسعية الفرنسية نحو منطقة الساحل الإفريقي.

- إن السياسة التي اعتمدتها فرنسا صاحبتها انعكاسات و آثار وخيمة على المدى القصير و المتوسط و البعيد خاصة السياسة الزراعية التي جردت الأهالي من واحاتهم بموجب القوانين الظالمة للمصادرة و التمليك ، القضاء على أنماط الزراعة المتعددة للأهالي و فرض زراعة النمط الوحيد النخيل و خاصة دقلة نور . و هو ما ساهم في إفقار الأهالي و تدهور مستويات المعيشة لحساب المعمرين و المستوطنين الذين تحولوا إلى مركز قوة مارسوا به كل أنواع الاستغلال على حساب سكان المنطقة .

في الأخير تقدمنا بهذا العمل المتواضع بهدف إماطة اللثام و تسليط بعض الضوء على السياسة الاستعمارية في مجال الري و الزراعة بمنطقة وادي ريغ . و نهيب بكل الأكاديميين و الباحثين في مختلف الفروع من التاريخ إلى الآثار إلى الدراسات الانثروبولوجية إلى الجغرافيين الخوض في دراسات معمقة علمية و دقيقة للمنطقة خاصة و انه يبدو أن غالبية المصادر المعتمدة تعود للمدرسة الكلولونيالية التي ما فتئت تزيف الحقائق و تقفز على الأحداث كلما كانت هذه الأخيرة تمس بالجرائم الاستعمارية في كل المستويات .

الملاحق

الملحق رقم 01

خريطة توزيع الواحات فى وادى ريغ إعداد شركة وادى ريغ 1888

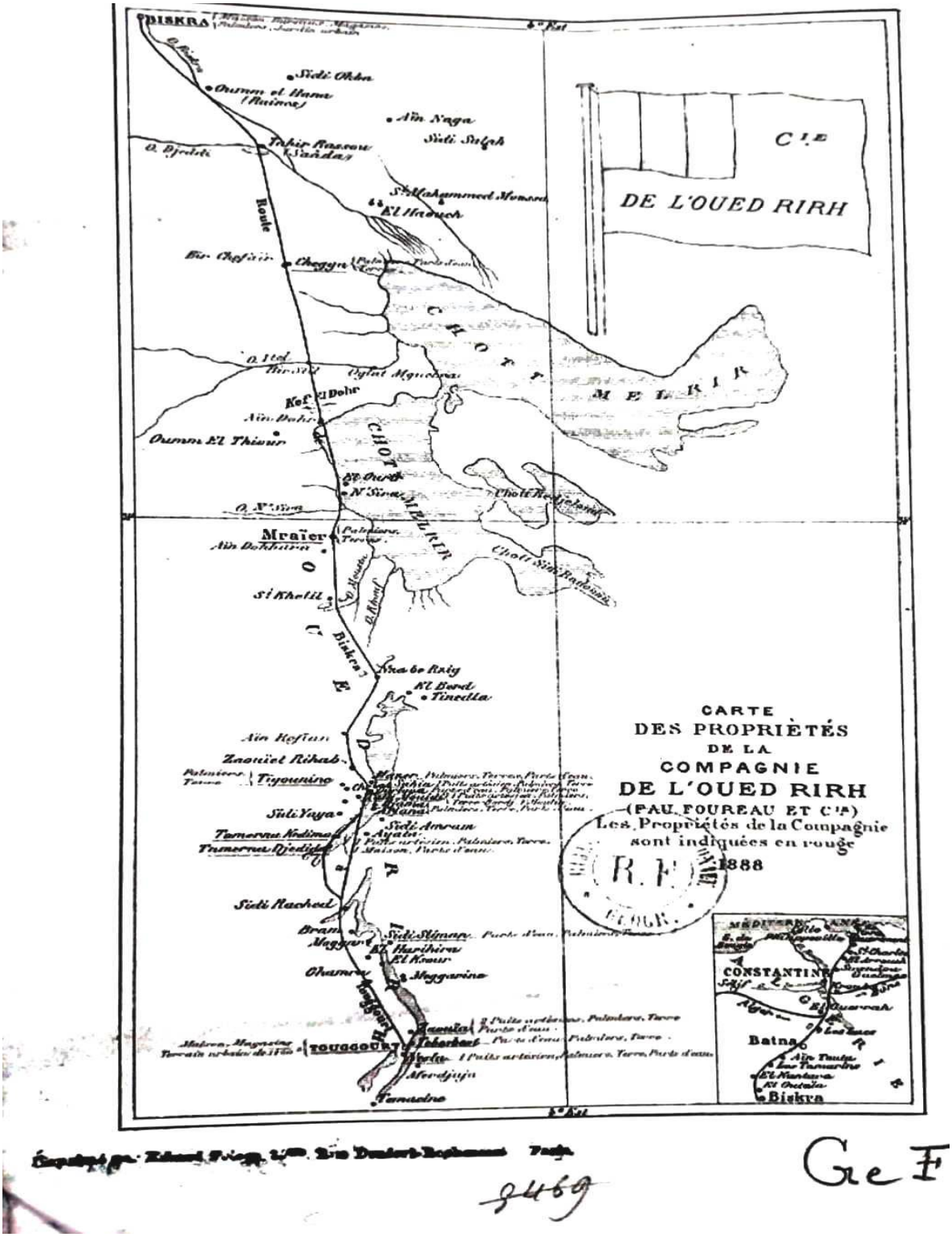

المصدر من الموقع الرسمي للمكتبة الرقمية الفرنسية

G . Roland : Les oasis de l'oued Rir en 1856 et 1879 , p 23

الملحق رقم 02

صورة لبئر أهلي تقليدي يظهر الغطاسين يقومون بعملية الحفر

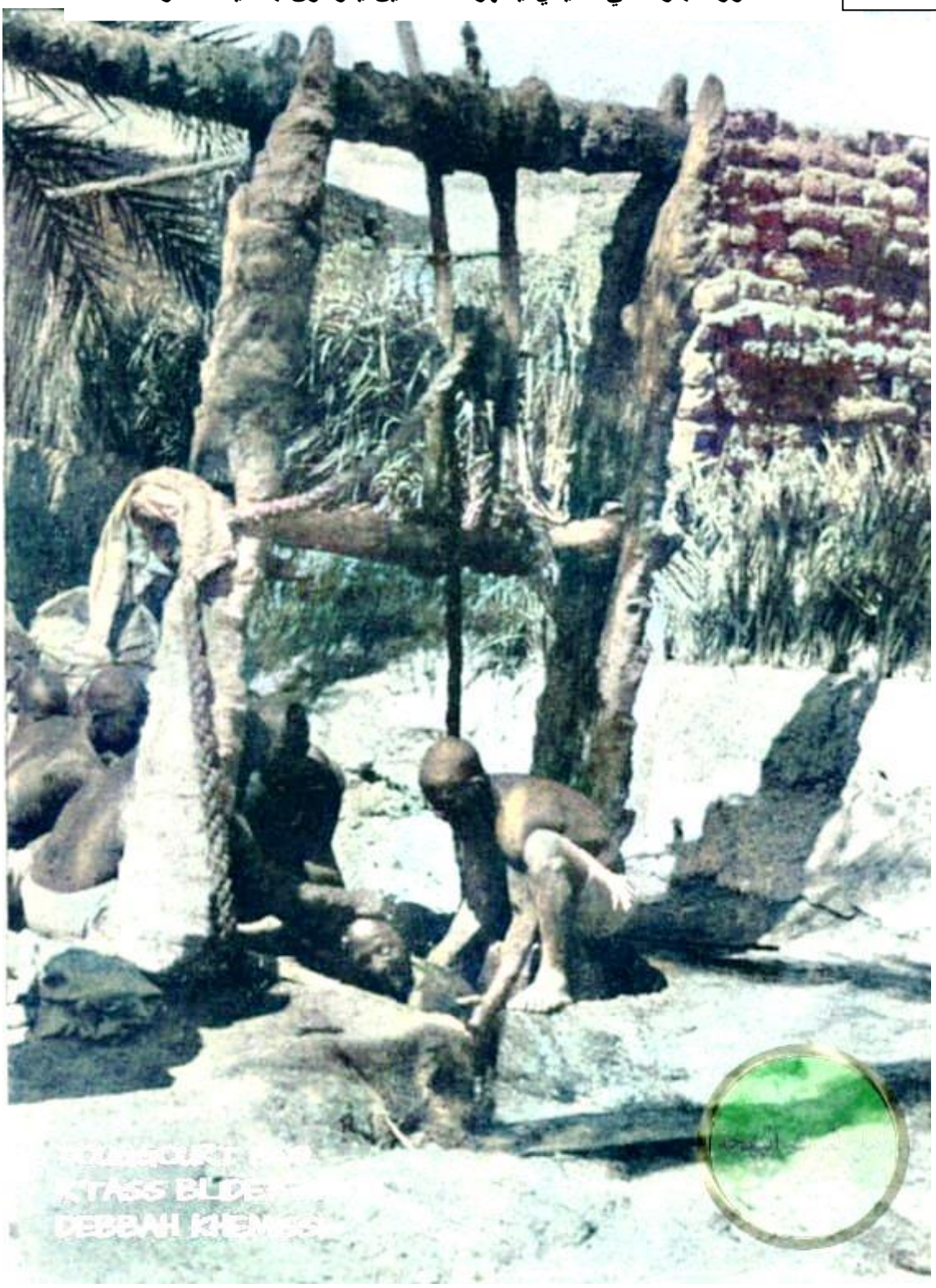

الصورة مأخوذة من الموقع الالكتروني لمجموعة أرشيف تقرت و منطقة وادي ريغ ديسمبر 2021

تم مشاركة الصورة من قبل الأستاذ دباح خميسي

رسم تخطيطي للوريا أو ما يعرف بالناعورة

الصورة نقلا عن مذكرة سعاد بن سالم ، كلثوم حجاج : زراعة النخيل ص79

بئر ارتوازي أوروبي تم حفره بتقرت

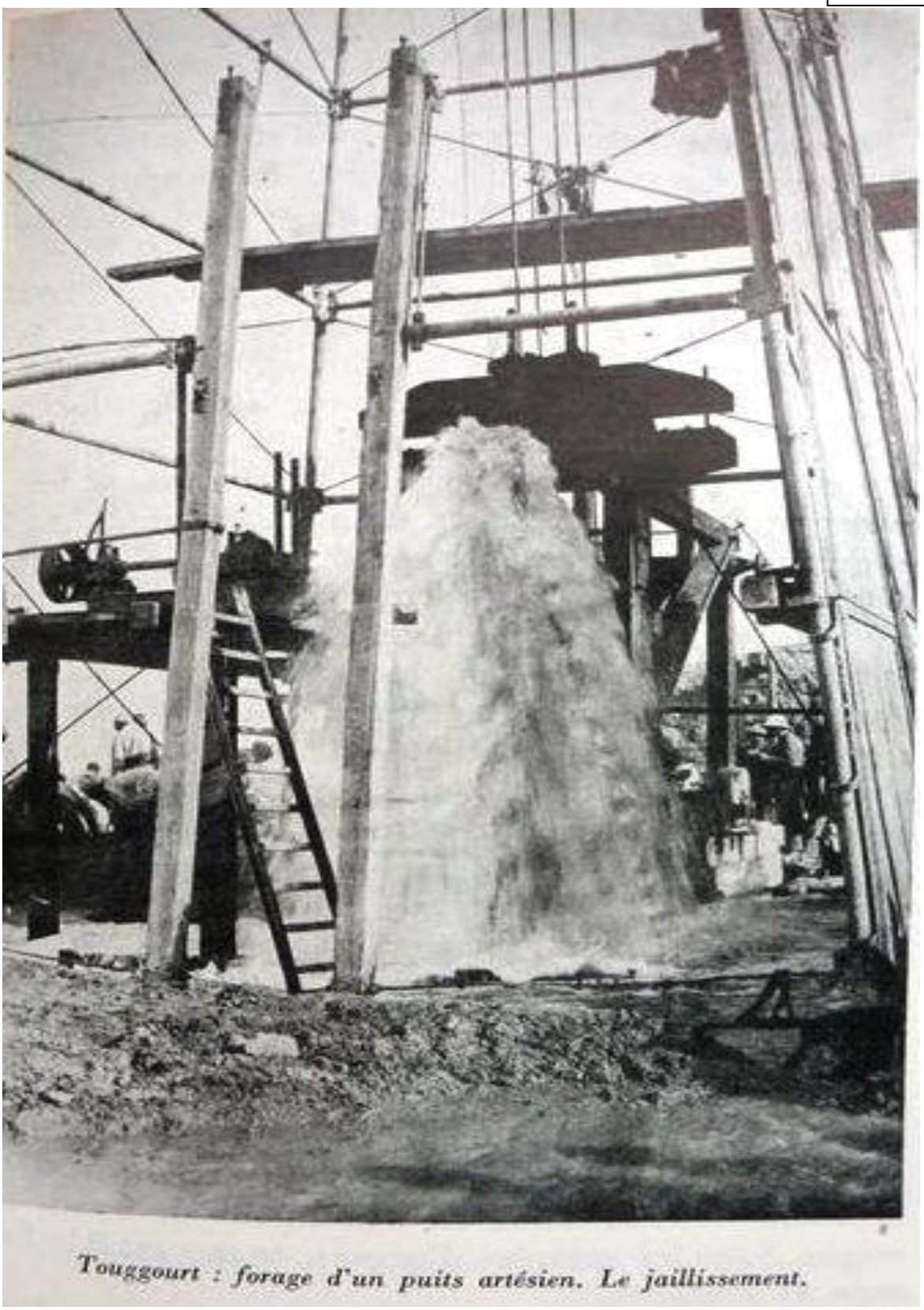

Touggourt : forage d'un puits artésien. Le jaillissement.

الصورة مأخوذة من الموقع الرسمي للمكتبة الوطنية الرقمية الفرنسية (gallica)

الملحق رقم 05

صورة لجدول يبرز أنواع التمور و قيمتها بالفرنك الفرنسي سنة 1925

الشهر	السنة	نوع التمور				قيمة التمر بالفرنك الفرنسي
		دقلة نور	الغرس	دقلة بيضاء	أنوع أخرى	
نوفمبر	1921	100 - 120	40	50 _ 60	20	قنطار
نوفمبر	1924	105- 100	90		60- 100	قنطار
مارس	1927	210- 239	169 - 169		115 - 123	قنطار
ديسمبر	1927	150 - 200	65 - 70		50- 60	قنطار
أوت	1928	150 - 200	60 - 100		>> >>	قنطار

المصدر: A.N.T, Rapports mensuels sur la situation économique etpolitique des Territoires du sud, Mars 1925.

نقلا عن مذكرة سعاد بن سالم ، كلثوم حجاج : زراعة النخيل ....ص 85

الملحق رقم 06

عملية فرز التمور بعد جنيها في حقول نخيل الأهالي

Triage des dattes, après la cueillette, dans le jardin d'un propriétaire indigène.

الصورة مأخوذة من موقع المكتبة الوطنية الرقمية الفرنسية (gallica)

صورة لخط سكة الحديد العابر للصحراء على مستوى القنطرة شمال بسكرة

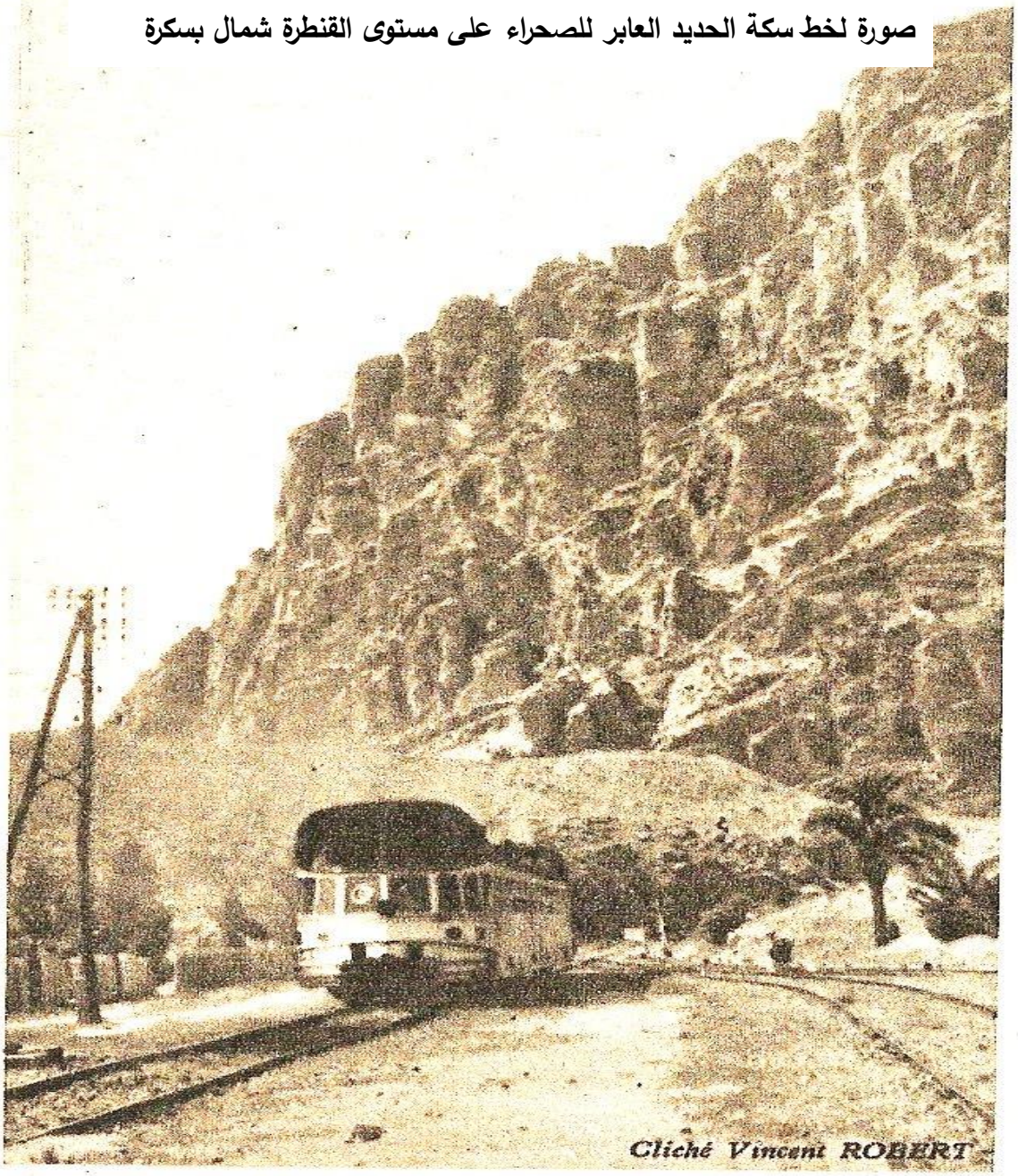

L'AURORAIL, BISKRA- CONSTANTINE, DANS LES GORGES D'EL KANTARA.

الصورة من الموقع الرسمي لـ

http://manifpn2012.canalblog.com/archives/2013/11/16/28447118.html

قائمة المصادر و المراجع

المصادر :

أولا باللغة العربية

1/ ابن خلدون عبد الرحمان : تاريخ ابن خلدون , دار الفكر، مج 7 ، الجزائر، 2000 م

2/ الحموي ياقوت: معجم البلدان ، مج 3، د.ط ، دار صادر , بيروت , د ت.

3/ محمد بن عمر العدواني : تاريخ العدواني ، تح. أبو القاسم سعد الله ، د ط ، دار الغرب الإسلامي , بيروت ، 2005م

4/ هنريش فون مالتسان : ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، تر. ابو العيد دودو، ج3 ، الجزائر،1980م

ثانيا باللغة الفرنسية

1/ A . Durand: Hydraulique Agricole , T2 , Paris , 1892 .

2/ E.Costier : Les entrailles de la terre ,NoNy et C^{emt}, Paris , 1902 .

3/ E . RECLUS: "LA TERRE ET LES HOMMES EN AFRIQUE SEPTENTRIONALE" Tome 2 , revue nouvelle géographie universelle , ED Hachette , Paris , 1886.

4/Gouvernement géniale d'Algérie: Rapport mensuel sur la situation économique et politique dus territoire du sud , décembre 1920 .

5/ HENRI Schirman : Le Sahara , S ED , S EDT , 1893 .

6/ Jules Duval : L'Algérie et les colonies françaises , Guillaumin et Cent , Paris , 1877 .

7/ Jean Brunhes : irrigation dans da péninsule Ibérique et dans Afrique du nord , thèse Doctorat , faculté de Lettres , université de Paris ,éditeur C.Naud ,Paris , 1902.

8/ M.G.Rolland : "la conquête du Désert " revue le fégaro , 14em année , N0 44, Paris , 03 novembre 1888,

9/ M.G Rolland : La colonisation françaises ou Sahara d'oued Rir, Rapports Association française pour avancement des sciences ,Paris, 3 Mars1888.

10/ M. G. Cardé : " Les Oasis de l'oued Rir en 1856 a 1879 "suivies du résumé des travaux de sondages exécutes dans le département de Constantine de 1878a 1879 , ED Marle , Constantine , 1879 .

11/ M. Berier : compte-rendu" établissement d'une plantation européenne de dattiers dans l'oued Rir " semaine du dattier ,5ou 11november 1931.

12/ M. J. Lemmt: "économie d' irrigation dans oasis sahariennes,

13/M.Jonnart : " situation générale des territoire du sud de l'Algérie pendant les années 1916 1917 1918" rapport d'ensemble , gouvernement géniale d'Algérie, Maison Bastide , Alger , 1919.

14/ M.Réme " les forages artésiens et captage des eaux "

15/ P. Godffroy:" Programme des chemines de fer des les Territoires du sud", G.G.de L'Algérie, ed Typographie Adolphe jour , Alger , 1916

16/ T. DE Noufville : Note au crayon sur Algérie, Tome 1, ED .chaix , paris,1882 .

المراجع :

أولا باللغة العربية

1/ العربي إسماعيل : الصحراء الكبرى و شواطئها ، طبعة الاولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 م .

2/ المدني احمد توفيق: كتاب الجزائر العام ، د. ط ، د. ن ، الجزائر ،1931م

3/ بن موسى علي بن سعيد: كتاب الجغرافيا, **تح, إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970.**

4/ خوضير أحمد : تقرت بين الحقيقة و الأسطورة و المغالطة ، طبعة أولى ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2019 م .

5/ عميراوي أحميدة و آخرون : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844 – 1916)، طبعة أولى ، دار الهدى ، الجزائر ، .

6/ عميراوي أحميدة و آخرون : أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830–1954) ، طبعة خاصة ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 54 ، الجزائر ، 1997 م .

7/عبد الحميد قادري : : وادي ريغ تاريخ و أمجاد ، ج1 ، ط 1 ، دار الأوطان للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 2013 م.

5/ موهوبي عبد القادر : ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ و ميزاب و ورقلة و الطيبات و العلية و الحجيرة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2005

ثانيا باللغة الفرنسية

bouzaher. A : << création d'oasis en Algérie .les systèmes agricoles Oasisens " Note technique, Chean, Montpellier, France , 1990 .

الرسائل الجامعية و الدوريات :

أولا باللغة العربية

1/ بالحبيب سفيان: << الأولياء والصالحين وأثرهم الاجتماعي والاقتصادي في إقليم وادي ريغ إبان الحقبة الاستعمارية 1854-1962 >> مذكرة تخرج مكمله لنيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي المعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة حمة لخضر الوادي ، 2019.2020 .

2/ برمكي محمد : << الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962 >>، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهرن السانية ، (2009- 2010)

3/ بن صغير حضري يمينه: "<< سياسة التوغل الاستعماري بمنطقة وادي ريغ ">> مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، العدد 02 ، مجلد 7 ، 2014.**

4/ بن سالم سعاد ، حجاج كلثوم : << زراعة النخيل و تأثيرها في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية بمنطقة وادي ريغ (1900-1962) >> ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة حمة لخضر ، الوادي ، 2016-2017 م .

5/ بن عطية كلثوم: << تطور والطابع المعماري في مدينة تقرت خلال العهد الاستعماري (1854 – 1962) >> مذكرة مكملة تدخل في متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ تخصص المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الشهيد محمد لخضر الوادي ، السنة الجامعية 2018-2019

6/خليفة عبد القادر: << تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمران في مدن الصحراء الجزائرية >> أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية تخصص انبريولوجيا اجتماعية وثقافية ، قسم العلوم الاجتماعية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2010-2011 .

7/ زريبي حسيبة : << اثر الموانئ الجزائرية في الاقتصاد الكولونيالي 1850-1914>> مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، 2015

8/ زهية شوشي: << مجمع القصور(دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافة لقصور مدينة تقرت) **>> مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير قسم علم الاجتماع الديمغرافية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006- 2005.**

9/ شافو رضوان : <<مقاومة تقرت وما جاورها للاحتلال الفرنسي(1852-1875) >> مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة الجزائر ، (2006-2007).

10/ شريفي داود : << التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري(1844- 1912) >> ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر ، شعبة التاريخ ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، 2015 2016

11/ عمراني معاذ: << منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي 1854-1962م دراسة سياسية >> أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية علوم الإنسانية ، جامعة الجزائر، 2016 .

12/ قسوم كلثوم : << السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجنوب الشرقي الجزائري منطقة وادي ريغ انموذجا (1844-1947) >> مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر ، شعبة التاريخ ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة (2014-2015)

ثانيا باللغة الفرنسية

Amichi .F : << Une agriculture transitoire au service d'une agricuture pérenne dans un forant pionnier saharien en Algérie l'eldorado d' Elghrous >> thèse Doctoral ,l'institue des science et industries du vivant et de l'environnement , Montpellier , France , 2018 .

فهرس المحتويات

- **التشكرات** ص4
- **الإهداء** ص5
- **قائمة المختصرات**.....ص8
- **المقدمة** ص9
- **الفصل التمهيدي:** التعريف بمنطقة وادي ريغ
  - المبحث الأول : التعريف بالمنطقة طبيعيا ص16
  - المبحث الثاني : منطقة وادي ريغ حضاريا ص22
  - المبحث الثالث : التوغل الاستعماري الفرنسي بالمنطقة ص26
- **الفصل الأول :** نظام الري الكولونيالي في منطقة وادي ريغ
  - المبحث الأول : نظام الري التقليدي لأهالي المنطقة ص33
  - المبحث الثاني :الآبار الارتوازية الكلولونيالية (تقنيات وأساليب)..... ص38
  - المبحث الثالث : الأساليب الكولونيالية للري و استغلال المياه ص43
- **الفصل الثاني:** الزراعة الكولونيالية واقعها وأهدافها بمنطقة وادي ريغ
  - المبحث الأول: النظام الزراعي الأهلي قبل التغلغل الاستعماري.....ص 48
  - المبحث الثاني: نظام الاستغلال الزراعي الكولونيالي**1870-1962** م...ص50
  - المبحث الثالث : طبيعية الإنتاج الزراعي ودوره الاقتصادي.....ص53
- **الفصل الثالث :**نتائج وانعكاسات النظام الكولونيالي على المنطقة
  - المبحث الأول : التوسع الاستعماري والسيطرة على طرق الصحراء.....ص60
  - المبحث الثاني : النظام الكولونيالي و أثاره على سكان المنطقة.....ص65
  - المبحث الثالث : الآثار البيئية.....ص67

- **الخاتمة**.....ص 69
- **الملاحق**.....ص72
- **قائمة المصادر و المراجع**.....ص80
- **فهرس المحتويات**.....ص85